

صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله)

(وما ينطق عن الهوى إنّ هو إلاّ وحي يوحى)

علي المطيري

اسم الكتاب: صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله)

المؤلف: علي المطيري

الموضوع: تاريخ

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الطبعة: الأولى

التاريخ: ١٤٢٥ هـ

المطبعة: ليلى

الكمية: ٣٠٠٠

ISBN: 964-8686- -

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

[www.ahl-ul-bait.org](http://www.ahl-ul-bait.org)

## كلمة المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

إنّ تراث أهل البيت (عليهم السلام) الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحنّذين لخطى أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمّتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضيّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت (عليهم السلام) وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تخرّجها كتب علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم إلى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد جاءت محاولة المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) أن تقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة في باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات - التي أثّرت في عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيّما بدعم من بعض الدوائر الحاكمة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الانترنت وغيرها - متجنّبة الإثارات المذمومة وحريصة على استنارة العقول المفكرة والنفوس الطالبة للحق، لتنتفح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر يتكامل فيه القول ويتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ولابدّ أن نشير إلى أن هذه المجموعة من البحوث قد أعدت في لجنة خاصة من مجموعة من الأفاضل . ونتقدم بالشكر الجزيل لكل هؤلاء ولأصحاب الفضل والتحقيق لمراجعة كلّ منهم جملة من هذه البحوث وإبداء ملاحظاتهم القيّمة عنها.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

المعاونية الثقافية - قم المقدّسة

## مقدمة المؤلف

أطلت النظر وأجلت البصر لاختيار خبر أو أثر يجمع بين دلائل النبوة والإمامة مما رواه الخاصة والعامة.

فلمع لي من بين الأخبار كالشمس في رابعة النهار ما ثبت عن النبي المختار حديث يتضمّن المعجز والدلائل، يفرّق بين الحقّ والباطل، لمن خلع ثوب اللجاج والعناد وابتغى مرضاة ربّ العباد.

ألا وهو الحديث الذي يقول فيه الرسول (صلى الله عليه وآله) في حقّ زوج البتول:

«يا عليّ أنت تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين».

حديث تجلّى فيه حرص النبيّ على هذه الأمة واهتمامه بها وما يجري عليها، فأوضح (صلى الله عليه وآله) لهم الحقّ الحقيق وبيّن معالم الطريق، وعرفهم العدو من الصديق شأنه في ذلك كشأن الأنبياء الذين خلّوا بل هو أحرص فأندر وأعذر وبشّر وحدّر وأفصح وفسّر.

وكما قال سبحانه وتعالى: (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً...) فليس هناك في تقديم عليّ (عليه السلام) على غيره مصالح ومنافع شخصيّة وعائليّة وطائفية ابتغاها الرسول، فيرتكب (صلى الله عليه وآله) حيفاً وظلماً واجحافاً في حقّ الآخرين، كما قال بعضهم: «كرهنا أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم!» فهذا كلام من يجهل المقام الشامخ للرسالة والنبوة، أو يتجاهل وأنه ينظر الى النبيّ كما ينظر الى كسرى أو قيصر أو أحد ملوك الدنيا، وأنّ النبيّ يحبّ ويشتهي ويثأر ويغضب لنفسه وكأنه ليس بحجة الله وخليفته والواسطة بين الحقّ والخلق، والحديث المزبور كما يحمل آهات وحسرات على تلك الطوائف أو الفرق التي ترددت في المتاهات والظلمات، فإنّه يحمل بشائر ومسرّات ومعجز ودلالات سوف نقرأها معاً من خلال الروايات.

ثمّ إنّ الحديث عمّا جرى على الوصي الأمير صاحب بيعة الغدير، لحديث يعلو به الإسلام وينقشع به الغمام والأوهام، فتصبح الحقيقة ساطعة والقلوب السليمة خاشعة طائعة. ولهذا وذاك ترى النبيّ (صلى الله عليه وآله) نوه ولهج باسم عليّ من أولّ يوم، يوم الإنذار وإلى آخر يوم الدار.

كلّ ذلك تمهيداً لقبول الحقّ وترويضاً للنفوس، فأبى أكثر النّاس إلا كفوراً، وصدق سبحانه حيث يقول: (وأكثرهم للحقّ كارهون)، وقوله المتكرّر: (ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون)، وهذا

هو شأن الأكثرية والغالبية فتراهم يتبعون: (عجلاً جسداً له خوار)، لأنه يصيح ويعيط ويتركون موسى وهارون.

(وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً)، «فالناس عبيد الدنيا والدين لعقّ على أسنتهم»  
وصدق رسول الله(صلى الله عليه وآله) حيث يقول: «والذي نفسي بيده لتركبن سنن الذين من قبلكم حذو النعل بالنعل».

### الدواعي

حفظاً لهذه الحقائق من أن تأتي عليها آفة عصرنا وزماننا، المسمّاة بالتحقيق والتعليق التي هدفها التمزيق والتشفيق والتفريق، فتبتلع وتقتلع ما حقّه أن يسمو ويرتفع.  
وإني إذا نظرت في كتب القوم فرأيتهم أتوا البيوت من ظهورها فأطنبوا وأسهبوا فيما ليس له صلة بالموضوع، وأجزوا واختصروا وقطعوا وبتروا ماهو من صميم البحث.  
فرايت جمعها مرتبة مهذّبة في كتاب، كي يطلع عليها أولو الألباب ويصحّ فيها قول ربّنا: (هذا مغتسل بارد وشراب) .

فينهل منه الخواص والعوام، إذ ليس عليها برقع واثام، بيّنة واضحة المقصد والمرام.  
فهذه العلل والأسباب التي دعنتني الى تأليف الكلمات المنتشرة، ونظم اللئالي المنتثرة، وورصّ اللبّات المبعثرة، فصار كالبنيان المرصوص المنمّق بأجمل النصوص، والمزيّن بأبهى الفصوص.

ترى الفتى ينكر فضل الفتى \*\*\* مادام حيّاً فإذا ما ذهب  
لحّ به الحرصُ على نكته \*\*\* يكتبها عنه بماء الذهب  
\* \* \*

«أمرت بقتال الناكثين والقاسطينوالمارقين»<sup>(١)</sup>

(الإمام علي(عليه السلام))

إنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله) باعتباره حجّة الله على الناس وخليفته والذي يؤدي عن الخالق سبحانه وتعالى.

ما ترك أمراً من الأمور أو حدثاً من الأحداث المهمة التي تمرّ على المسلمين إلا بيّنها حتى تتمّ الحجّة ولا يبقى عذر لمعتذر.

فحدّثهم وأنذرتهم وبشّرتهم وأمرهم وكما قال سبحانه وتعالى: (يا أيّها النبيّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً\* وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً)<sup>(٢)</sup>.

بشّرتهم بحسن الثواب وأنذرتهم سوء العقاب فكلّ ما كان أو هو كائن من الحوادث المهمة الصعبة التي يؤاخذ الله عليها، ولا بدّ من معرفة الحقّ فيها.

هناك حجّة كافية وبيان وبرهان سواء في حياة النبيّ(صلى الله عليه وآله)، أو حين وفاته، أو بعد إرتحاله وانتقاله إلى الرفيق الأعلى وحتى آخر حدث في هذه الدنيا.

بدأ بأوّل حدث أو فتنة وهي مسألة الإمامة والخلافة والوصيّة وآخر حدث سوف يحدث في هذه الأمّة وهي قضيّة الإمام المهدي الموعود (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

فترى العشرات بل المئات من الحجج والبراهين، التي توضح وتبيّن الحقّ في كلّ حدث وفتنة وابتلاء.

وهاهي كتب القوم أبناء العامّة والجماعة ملئى فضلاً

عن كتب الخاصّة تنقل وتروي أخبار النبيّ(صلى الله عليه وآله)، بما

سيواجه هذه الأمّة وأثمه(صلى الله عليه وآله) يبيّن جادّة الصواب وسبيل النجاة والخلص.

فما من حدث مصيري يتعلّق بمصير الأمّة ومستقبلها إلا ونبيّ الرحمة(صلى الله عليه وآله) يُعرّف أمته سبيل الهدى والرشاد.

(١) إنّ اشتهاً هذا الحديث وثبوته عند المسلمين يغنينا عن سرد وذكر مصادره وطرقه.

ومن أراد الاطلاع على مصادر وطرق الحديث فليراجع الغدير ج ٢، ص ١٩٤ وفضائل الخمسة من الصحاح السّنة ج ٢، ص ٣٩٨، فقد ذكر من مصادر وطرق القوم أبناء العامّة والجماعة ما فيه الكفاية.

ونحن قد ذكرنا بعض هذه الروايات في آخر كتابنا هذا تحت عنوان مصادر الحديث ص ٤٨٨.

(٢) الأحزاب: ٤٥ - ٤٦.

وفي جلّ إن لم نقل كلّ هذه الأخبار ظهرت دلائل نبوّته وعظّمته ومعاجزه إذ صدّق  
الواقع أقواله في هذه الأحداث أو الفتن.

فمن هذه الأخبار ماذا وشاع عنه (صلى الله عليه وآله) واشتهر ونقله كلّ

من كتب وصنّف في الأحاديث والتاريخ والسير فلم

يعد يخفى حتى على ربات الحجال فضلاً عن الرجال فهو

من الأخبار الشهيرة ومصادره كثيرة، حتى قال ابن أبي الحديد المعتزلي بضرس قاطع: قد

ثبت عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّه قال لعليّ: «تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين»<sup>(٣)</sup>.

فتعبيره وقوله ثبت عن النبيّ، أي ليس هناك شكّ وريب وتزلزل؛ بل ثبوت ويقين.

ونحن نتعرّض لكلّ فرقة بايجاز واختصار إذ الأمر في غاية الاشتهار، فلا داعي الى

الإكثار، ولا يخفى ما في دراسة هذه الأحداث من فوائد جمّة ودورس وعبر ومعاجز ودلائل

للنبيّ (صلى الله عليه وآله) والوصي (عليه السلام)، ظهرت في هذه الملاحم والفتن.

أمّا الطائفة أو الفئة الأولى التي تصدّى لها أمير المؤمنين (عليه السلام) فهم:

الناكثون

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١٣، ص ١٨٣.

## الناكثون

سمّاهم بذلك النبيّ (صلى الله عليه وآله) لأنّهم نكثوا الأيمان والعهود والمواثيق، نكثوا بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد توكيدها: (وجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) (٤).

قادة هذه الفئة طلحة والزبير وعائشة، فالأحرى بنا وقبل كلّ شيء أن نتعرّف على هؤلاء الثلاثة .

### طلحة

هو أبو محمد طلحة بن عبيدالله بن عثمان من بني تيم بن مرّة أبوه ابن عمّ أبي بكر، وأمّه الصعبة بنت الحضرمي، وكانت قبل أن تكون عند عبيدالله تحت أبي سفيان صخر بن حرب، فطلقها ثم تبعها نفسه فقال فيها شعراً أوله:

وإني وصعبة فيما أرى \*\*\* بعيدان والودود قريب  
وشلت بعض أصابعه يوم أحد (٥).

### طلحة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)

هو الذي نزل فيه قوله تعالى: (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً) (٦).

نزلت الآية لما قال طلحة: «أحجبنا محمد عن بنات عمّنا، ويتزوّج نساءنا من بعدنا، فإن حدث به حدث لنزوّج نساءه من بعده» (٧). وقال: «إن مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) لنزوّجت عائشة وهي بنت عمّي» فبلغ ذلك رسول الله فتأدّى به فنزلت الآية (٨).

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٩، ص ٥٦، من كلام لعليّ (عليه السلام) يخاطب به طلحة: «وأما أنت يا طلحة فقلت: إن مات محمد لنركضن بين خلايل نساءه كما ركض بين خلايل نساءنا» (٩).

(٤) النمل: ١٤.

(٥) ابن أبي الحديد: ج ١، ص ٢٢٥، والروض الأنف: ٤٣/٣ المطبعة العلمية بيروت وعيون الأخبار لابن قتيبة: ١٠١/٤.

(٦) الأحزاب: ٥٣.

(٧) الدر المنثور لجلال الدين السيوطي: ٢١٤/٥ مع اختلاف يسير.

(٨) راجع تفسير الآية عند القرطبي والألوسي وابن كثير والبغوي والخازن وفيض القدير وطبقات ابن سعد: ٣٤٩/٨.



## طلحة مع أبي بكر

ودخل طلحة بن عبيدالله على أبي بكر فقال: إنه بلغني أنك يا خليفة رسول الله استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه فكيف به إذا خلا بهم وأنت غداً لاق ربك فيسألك عن رعيتك! فقال أبو بكر: اجلسوني، ثم قال: أباالله تخوفني! إذا لقيت ربِّي فسألني<sup>(١٠)</sup> قلت استخلفت عليهم خير أهلك. فقال طلحة: أمر خير الناس يا خليفة رسول الله! فاشتد غضبه، وقال: أي والله هو خيرهم وأنت شرهم. أما والله لو وليتكم لجعلت أنفك في قفاك ولرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذي يضعها اتيتني وقد دأبت عينك تريد أن تفتنني عن ديني وتزيلني عن رأيي قم لا أقام الله رجلك أما والله لئن عشت فواق ناقة وبلغني أنك غمصته فيها، أو ذكرته بسوء لألحقك بمحمضات فنة حيث كنتم تسقون ولا تروون وترعون ولا تشبعون وأنتم بذلك بجحون راضون، فقام طلحة فخرج<sup>(١١)</sup>.

## طلحة مع عمر

فمن كلام لعمر مع السنة من أصحاب الشورى جاء فيه أفلا أخبركم عن أنفسكم؟ ثم أقبل على طلحة - وكان له مبعوضاً منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر - فقال له أقول أم أسكت؟ قال: قل فإني لا تقول من الخير شيئاً قال: أما أني أعرفك منذ أصيبت<sup>(١٢)</sup> إصبعك يوم أحد وأنيأ<sup>(١٣)</sup> الذي حدث لك، ولقد مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب. قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ: الكلمة المذكورة ان طلحة لما أنزلت آية الحجاب قال بمحضر ممن نقل عنه الى رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما الذي يغنيه حجابهن اليوم وسيموت غداً فنكحنهن.

قال أبو عثمان أيضاً: لو قال لعمر قائل، أنت قلت إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مات وهو راض عن السنة، فكيف تقول الآن لطلحة انه مات (صلى الله عليه وآله) ساخطاً عليك للكلمة التي

(٩) السقيفة لأبي بكر الجوهري: ص ٨٨.

(١٠) الطبري: ٤٣٣/٣، سنة ١٣.

(١١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١/١٦٥.

(١٢) كنز العمال: ٢٩٢/٥ و ٢٩٤.

(١٣) وانيأ: غاضباً.

قلتها لكان قد رماه بمشاقصة، ولكن من الذي كان يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا، فكيف هذا<sup>(١٤)</sup> .

### طلحة مع عثمان

يقول ابن أبي الحديد: وكان طلحة من أشدّ الناس تعريضاً عليه، وكان الزبير دونه في ذلك<sup>(١٥)</sup> .

ويقول أيضاً في نفس الصفحة: وروى الناس الذين صنفوا في واقعة الدار انّ طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعاً بثوب قد استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهم، ورووا أيضاً أنّه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار، حملهم طلحة الى دار لبعض الأنصار، فأصعدهم الى سطحها وتسوّروا منها على عثمان داره فقتلوه.

ويقول في ج ١٠، ص ٤: وقد كان طلحة اجهد نفسه في أمر عثمان<sup>(١٦)</sup> والإجلاب عليه والحصر له والاعراء به ومثّته نفسه الخلافة بل تلبّس بها وتسلم بيوت الأموال وأخذ مفاتيحها وقاتل الناس وأحدقوا به ولم يبق إلا أن يصفق بالخلافة على يده.

ويقول في ج ٩، ص ٣٥: روي أنّ عثمان قال: ويلي على ابن الحضرمية - يعني طلحة - أعطيته كذا وكذا بُهاراً ذهباً وهو يروم دمي يحرض عليّ اللهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه.

ويقول ابن أبي الحديد في ج ١، ص ١٦١: وقال أبو جعفر الطبري وكان لعثمان على طلحة بن عبيدالله خمسون ألفاً، فقال طلحة له يوماً: قد تهيأ مالك فاقبضه فقال: هو لك معونة على مروءتك، فلما حُصر عثمان، قال عليّ (عليه السلام) لطلحة<sup>(١٧)</sup>: «انشدك الله إلا كفت عن عثمان»، فقال: لا والله حتى تعطي بنو أمية الحقّ من أنفسها، فكان عليّ (عليه السلام) يقول: «لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل».

وعندما استنجد عثمان بعليّ لما حوصر، جاء سلام الله عليه الى طلحة وقال: «يا طلحة ما هذا الأمر الذي وقعت فيه؟» فقال: يا أبا الحسن أبعد ما مسّ الحزام الطبيين فانصرف عليّ (عليه السلام) ولم يُحر إليه شيئاً حتى أتى بيت المال فنادى: افتحوا الباب، فلم يقدروا على فتحه فقال:

(١٤) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١، ص ١٨٥.

(١٥) شرح النهج: ج ٩، ص ٣٥، والعقد الفريد: ج ٥، ص ٤٠، ٤٦، ٤٩، والطبري: ٣٧٩/٤ - ٤٠٥ / ٤٣١، والكامل:

١٧٤/٣، وتاريخ المدينة المنورة: ج ٤ / ١١٦٩ - ١١٩٧ - ١١٩٩ - ١٢٨٧ .

(١٦) ذكر بعض ذلك ابن الأثير الكامل: ١٧٤/٣، والعقد الفريد: ٤٠/٥، وكنز العمال: ٢٩٧/٥.

(١٧) الطبري: ٥/٤، والكامل: ١٨٣/٣.

اكسروه، فقال: اخرجوا هذا المال، فجعلوا يخرجونه وهو يعطي الناس وبلغ الذين في دار طلحة ما صنع عليّ (عليه السلام) فجعلوا يتسللون إليه حتى بقي طلحة وحده وبلغ الخبر عثمان فسرّ بذلك ثم أقبل طلحة يمشي عامداً الى دار عثمان فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين استغفر الله وأتوب إليه لقد رُمت أمراً حال الله بيني وبينه فقال عثمان: إنك والله ما جئت تائباً ولكن جئت مغلوباً<sup>(١٨)</sup>.

وروى المدائني في كتاب مقتل عثمان: إن طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام وأن عليّاً (عليه السلام) لم يبايع الناس إلا بعد قتل عثمان بخمسة أيام، وأن حكيم بن حزام بن عبد العزى وجبير بن مطعم بن الحارث بن نوفل استنجدا بعلي (عليه السلام) على دفنه، فأقعد طلحة لهم في الطريق ناساً بالحجارة فخرج به نفر يسيرون من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم.

فلما صار هناك رجم سريره وهموا بطرحه، فأرسل عليّ (عليه السلام) الى الناس يعزم عليهم ليكفوا عنه، فكفوا فانطلقوا به حتى دفنوه في حش كوكب<sup>(١٩)</sup>.

#### مروان يثأر لعثمان<sup>(٢٠)</sup>

وقال مروان بن الحكم يوم الجمل: والله لا أترك ثأري وأنا أراه ولأقتلن طلحة بعثمان فإثمه قتله. ثم رماه بسهم فأصاب مابضه<sup>(٢١)</sup> فنزف الدم حتى مات<sup>(٢٢)</sup>.

قال أبو مخنف: فأما طلحة فإن أهل الجمل لما توضعوا قال مروان: لا أطلب ثأر عثمان من طلحة بعد اليوم فانتحى له بسهم فأصاب ساقه فقطع أكله فجعل الدم يبيض فاستدعى من مولى له بغلة فركبها وأدبر، وقال لمولاه: ويحك أما من مكان أقدر فيه على النزول فقد قتلتني الدم فيقول له مولاه انج: وإلا لحقك القوم، فقال: بالله ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعي هذا، حتى انتهى الى دار من دور البصرة فنزلها ومات بها<sup>(٢٣)</sup>.

(١٨) شرح النهج: ج ١٠، ص ٨، وتاريخ الطبري: ج ٤/٤٣١، وابن الأثير: ج ٣، ص ١٦٧.

(١٩) شرح النهج: ج ١٠، ص ٦.

(٢٠) ابن الأثير: ج ٣، ص ٢٤٤، وابن سعد: ١١٩/٣.

(٢١) المأبض: ما يثب عليه الفخذ.

(٢٢) شرح النهج: ج ٩، ص ٣٦، والعقد الفريد: ٧٠/٥، وطبقات ابن سعد: ١١٩/٣ و ٢٠/٥، والمسعودي: ٣٧٣/٢.

(٢٣) شرح النهج: ج ٩، ص ١١٣.

وقال أبو مخنف: وقد قال عبد الملك بن مروان: لولا أنّ أبي أخبرني أنّه رمى طلحة فقتله ما تركت تيمياً إلا قتلته بعثمان<sup>(٢٤)</sup>.

### الزبير

أبوه العوام بن خويلد شقيق خديجة بنت خويلد أم المؤمنين (عليه السلام)، أمه صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أحد السنّة الذي رشّحهم عمر للشورى، وأحد العشرة كما يقولون، يكتى بابنه عبدالله.

ولابنه عبدالله الأثر الكبير في انحرافه عن أمير المؤمنين حتى قال (عليه السلام): «ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبدالله»<sup>(٢٥)</sup>.

كان في صحبة النبيّ الى أن انتقل (صلى الله عليه وآله) الى جوار ربّه وبعدها سحب الإمام عليّ (عليه السلام)، حتى أيّام مقتل عثمان فانحرف بعد ذلك عنه وخرج مع طلحة وعائشة الى حربه يوم الجمل.

له مواقف شريفة قبل انحرافه عن عليّ (عليه السلام) منها:

وقوفه الى جنب الإمام (عليه السلام) يوم السقيفة حتى أنّه شهر سيفه.

يقول ابن أبي الحديد في ج ٦، ص ٤٨: قال أبو بكر: وحدثني أبو زيد عمر بن شيبه عن رجاله قال: جاء عمر الى بيت فاطمة في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين فقال: والذي نفسي بيده لتخرجنّ الى البيعة أو لأحرقنّ البيت عليكم، فخرج إليه الزبير مصلاً بالسيف فاعتنقه زياد بن لبيد الأنصاري ورجل آخر، فندر السيف من يده فضرب به عمر الحجر فكسره<sup>(٢٦)</sup>. ومنها: تنازله عن حقّه يوم الشورى لأمر المؤمنين (عليه السلام)، فكان من حقّه أن يرشّح نفسه وأن يصوت لمن يشاء.

### رأي عمر فيه

«أما أنت يا زبير فوعق لقس مؤمن الرضا، كافر الغضب، يوماً إنسان ويوماً شيطان، ولعلها لو أفضت إليك ظلّت يومك تلاطم بالبطحاء على مدّ من شعير أفرأيت إن أفضت

(٢٤) شرح النهج: ج ٩، ص ١١٤، وطبقات ابن سعد: ١١٩/٣ ط التراث العربي بيروت.

(٢٥) شرح النهج: ج ٢٠ / ٤٦١، والاستيعاب: ج ٢ / ٣٠٢.

(٢٦) السقيفة لأبي بكر الجوهري: ص ٥٠ / ٥١ / ٤٤ / ٦٠ / ٧١، وكنز العمال: ٢٣٩/٥.

إليك! فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاناً ومن يكون لهم يوم تغضب، وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة وأنت على هذه الصفة»<sup>(٢٧)</sup>.

#### موقف الزبير من عثمان

يقول ابن أبي الحديد في ج ٩، ص ٣٦: ورووا أيضاً أنّ الزبير كان يقول: اقتلوه فقد بدّل دينكم فقالوا: إنّ ابنك يحامي عنه بالباب فقال ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدء بابني؛ إنّ عثمان لجيفة على الصراط غداً.

وفي نفس الجزء، ص ٣٥ يقول: وكان طلحة من أشدّ الناس تحريضاً عليه وكان الزبير دونه في ذلك. وفي العقد الفريد: ج ٥ / ٤٩ مثله.

#### تذكير وتحذير من قبل الأمير (عليه السلام)

برز عليّ (عليه السلام) يوم الجمل ونادى بالزبير: يا أبا عبدالله مراراً فخرج الزبير فتقاربا حتى اختلفت أعناق خيلهما فقال له عليّ (عليه السلام): «إثما دعوتك لأذكرك حديثاً قاله لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): أتذكر يوم رآك وأنت معتقي فقال لك: أتحبّه قلت: وما لي لا أحبّه وهو أخي وابن خالي فقال: أمّا إنك ستحاربه وأنت ظالم له». فاسترجع الزبير وقال: أذكرتني ما أنسانيه الدهر ورجع إلى صفوفه<sup>(٢٨)</sup>.

فقال له عبدالله ابنه: لقد رجعت إلينا بغير الوجه الذي فارقتنا به! فقال: أذكرني عليّ حديثاً أنسانيه الدهر فلا أحاربه أبداً وإني لراجع وتارككم منذ اليوم.

فقال له عبدالله: ما أراك إلا جبت عن سيوف بني عبدالمطلب أنّها لسيوف جداد تحملها فتية أنجاد، فقال الزبير: ويلك اتّهيّجني على حربته أمّا إني قد حلفت ألا أحاربه.

قال: كفر عن يمينك لا تتحدّث نساء قريش إنّك جبت وما كنت جباناً. فقال الزبير: غلامي مكحول حرّ كفارة عن يميني. ثم أنصل سنان رمحه وحمل على عسكر عليّ (عليه

(٢٧) شرح النهج: ج ١، ص ١٨٥، وكنز العمال: ج ٥، ص ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٤، وابن شبة في تاريخ المدينة المنورة: ٨٨٠/٣.

(٢٨) الطبري: ج ٢/٤ و ٥٠٩/٥، والكامل: ٢٤٠/٣، والأغاني: ج ٨/٥٩، ٦٢، والمسعودي: ٣٧١/٢.

السلام) برمح لا سنان له، فقال عليّ(عليه السلام): أفرجوا له فإنه مخرج، ثم عاد الى أصحابه ثم حمل ثانية ثم ثالثة، ثم قال لابنه: أجبناً ويليكَ ترى. فقال: لقد أعذرت.

لما أذكر عليّ(عليه السلام) الزبير بما أذكره به ورجع الزبير وقال:  
نادى عليٌّ بأمر لست أنكره \*\*\* وكان عمر أبيك الخير منذ حين  
فقلت حسبك من عدل أبا حسن \*\*\* بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني  
ترك الأمور التي تخشى مغبتها \*\*\* والله أمثل في الدنيا وفي الدين  
فاخترت عاراً على نار مؤججة \*\*\* أنى يقوم لها خلق من الطين<sup>(٢٩)</sup>

### العاقبة والمصير

لما انصرف الزبير عن حرب عليّ(عليه السلام) مرّ بوادي السباع، والأحنف بن قيس هناك في جمع من بني تميم قد اعتزل الفريقين، فأخبر بمرور الزبير فقال رافعاً صوته: ما أصنع بالزبير لفّ غارين من المسلمين حتى أخذت السيوف منهما مأخذها انسلّ وتركهم أمّا إنّه لخليق بالقتل قتله الله.

فاتبعه عمرو بن جرموز وكان فاتكاً فلما قرب منه وقف الزبير وقال: ما شأنك؟ قال: جئت لأسئلك عن أمر الناس. قال الزبير: إني تركتهم قياماً في الركب يضرب بعضهم وجه بعض بالسيف، فسار ابن جرموز معه وكلّ واحد منهما يتقي الآخر.

فلما حضرت الصلاة قال الزبير: يا هذا إنا نريد أن نصلي. فقال ابن جرموز وأنا أريد ذلك. فقال الزبير: فتؤمّني وأؤمّنك قال: نعم فثنى الزبير رجله وأخذ وضوءه، فلما قام الى الصلاة شدّ ابن جرموز عليه فقتله، وأخذ رأسه وخاتمه وسيفه وحثا عليه تراباً يسيراً ورجع الى الأحنف فأخبره.

فقال: والله ما أدري أسأت أم أحسنت أذهب الى عليّ(عليه السلام) فأخبره فجاء الى عليّ(عليه السلام) قال للأذن قل له عمرو بن جرموز بالبواب ومعه رأس الزبير وسيفه فأدخله. وفي كثير من الروايات انه لم يأت بالرأس بل بالسيف فقال له: أنت قتلتته؟! قال: نعم. قال: والله ما كان ابن صفيّة جباناً ولا لنيماً ولكن الحين ومصارع السوء.

(٢٩) شرح النهج: ج ١، ص ٢٣٤، والطبري: ٢/٤ و ٥٠٩/٥، والأغاني: ٦٠/١٨، وتاريخ المسعودي: ٣٧٢/٢.

ثم قال: ناوتني سيفه ، فناولته فهزّه وقال: سيف طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله(صلى الله عليه وآله). فقال ابن جرموز الجائزة يا أمير المؤمنين فقال: أما إني سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: «بشّر قاتل ابن صفية بالنار» فخرج ابن جرموز خائباً وقال:

أتيت علياً برأس الزبير \*\*\* أبغي به عنده الزلفه  
فبشّر بالنار يوم الحساب \*\*\* فبئست بشارة ذي الثحفه  
فقلت له إن قتل الزبير \*\*\* لولا رضاك من الكلفه  
فإن ترض ذاك فمك الرضا \*\*\* وإلا فدونك لي حلفه  
وربّ المحلّين والمحرمين \*\*\* وربّ الجماعة والألفه  
لسيآن عندي قتل الزبير \*\*\* وضرطة عنز بذى الجحفه  
ثم خرج ابن جرموز على علي(عليه السلام) مع أهل النهر فقتله معهم فيمن قتل(٣٠).

#### طلحة والزبير تحت المجهر

كلّ واحد منهما يرجو الأمر له، ويعطفه عليه دون صاحبه لا يمتّان الى الله بحبل، ولا يمدّان إليه بسبب.

كلّ واحد منهما حاملٌ ضبّ لصاحبه، وعمّا قليل يكشف قناعه به

والله لئن أصابوا الذي يريدون لينتزعنّ هذا نفس هذا وليأتين هذا

على هذا(٣١).

أقول: لهذه المشابهة والمماثلة والمشاكله بين نفسي الرجلين آخى النبي(صلى الله عليه وآله)بينهما كما آخى بين أبي بكر وعمر واختيار علياً(عليه السلام)لنفسه وهذا ما أشار إليه المحبّ الطبري في الرياض النضرة حيث قال: ومن أدلّ دليل على عظم منزلة عليّ من رسول الله(صلى الله عليه وآله) صنيعة في المؤاخاة فإنّه(صلى الله عليه وآله) جعل يضمّ الشكل الى الشكل يؤلف بينهما الى أن آخى بين أبي بكر وعمر وادّخر علياً لنفسه وخصّه بذلك فيالها مفخرة وفضيلة(٣٢).

(٣٠) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١، ص ٢٣٦، والعقد الفريد: ٧١/٥، والمسعودي: ٣٧٣/٢.

(٣١) شرح النهج لابن أبي الحديد، خطبة ١٤٨، ج ٩، ص ١٠٩.

(٣٢) تجد هذه المؤاخاة في سيرة ابن هشام من الروض الأنف: ٣٣٧/٤، وكنز العمال: ٧٢/٩، والمعيار والموازنة: ٢٠٨.

## أم المؤمنين عائشة

أبوها أبوبكر وأمها أم رومان، تزوجها رسول الله(صلى الله عليه وآله) قبل الهجرة بسنتين بعد وفاة خديجة رضوان الله عليها بنت سبع سنين وبنى عليها بالمدينة وهي بنت تسع سنين وعشرة أشهر.

وتوفي رسول الله(صلى الله عليه وآله) عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة، كما في الاستيعاب لأبي عمر بن عبدالبر: إنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) توفي عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة، فكان سنّها معه تسع سنين ولم ينكح بكرًا غيرها، واستأذنت رسول الله(صلى الله عليه وآله) في الكنية فقال لها: اكنّي بابنك عبدالله بن الزبير - يعني ابن ختها - فكانت كنيته أم عبدالله. وتوفيت في سنة سبع وخمسين للهجرة وعمرها أربع وستون سنة، ودفنت بالبقيع في ملك معاوية وصلى عليها المسلمون ليلاً وأمهم أبوهريرة وذلك لسبع عشرة خلت من شهر رمضان من السنة المذكورة.

## عائشة مع عثمان<sup>(٣٣)</sup>

يقول ابن أبي الحديد في ج ٦، ص ٢١٥: قال كلّ من صنّف في السير والأخبار أنّ عائشة كانت من أشدّ الناس على عثمان حتى أنّها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله(صلى الله عليه وآله) فنصبته في منزلها وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله(صلى الله عليه وآله) لم يبل وعثمان قد أبلى سنّته.

قالوا: أوّل من سمّى عثمان نعتلاً عائشة والنعتل الكثير شعر اللحية والجسد وكانت تقول اقتلوا نعتلاً قتل الله نعتلاً.

ويقول أيضاً فيص ٢١٦: قال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه: وقد روي من طرق مختلفة أنّ عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة قالت: أبعد الله ذلك بما قدّمت يداه وما الله بظلام للعبيد.

قال: وروي من طرق أخرى أنّها قالت لما بلغها قتله: أبعد الله قتله ذنبه وأقاده الله بعمله يا معشر قريش! لا يسومنكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه أن أحقّ الناس بهذا الأمر

(٣٣) السقيفة لأبي بكر الجوهري، ص ٨٠، والعقد الفريد: ٥ / ٤٦، والسيرة الحلبية: ٢٨٦/٣، وابن شبة في تاريخ المدينة:



ذو الإصبع<sup>(٣٤)</sup>، فلما جاءت الأخبار بببيعة عليّ (عليه السلام) قالت: تعسوا تعسوا لا يردون الأمر في تيم أبداً.

وفي تاريخ الطبري يقول عثمان لابن عباس: رأيت أنّ أوليك أمر الموسم. وكتب معه الى أهل الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحقّ ممّن حصره. فخرج ابن عباس فمرّ بعائشة في الصلّصل، فقالت: يا ابن عباس أنشدك الله - فإنك قد أعطيت لساناً إزعيلاً - أن تخذلّ عن هذا الرجل وان تشكك فيه الناس فقد بانّت لهم بصائرهم وانهجرت ورفعت لهم المنار وتحلبوا من البلدان لأمر قد حُم. وقد رأيت طلحة بن عبيدالله قد اتّخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح، فإن يلّ يسير بسيرة ابن عمّه أبي بكر.

قالت: قلت يا أمه لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا الى صاحبنا.

فقالت: ايها عنك! إيّ لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك<sup>(٣٥)</sup>.

قال أبو الفرج: وحدثني أحمد قال: حدثنا عمر قال: حدثني المدائني عن الواقصي، عن الزهري قال: خرج رهط من أهل الكوفة الى عثمان في أمر الوليد فقال: أكلما غضب رجل على أميره رماه بالباطل! لئن أصبحت لكم لأنكلنّ بكم.

فاستجاروا بعائشة، وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتها وكلاماً فيه بعض الغلظة فقال: أما يجد فساق العراق ومراقها ملجأً إلا بيت عائشة.

فسمعت، فرفعت نعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقالت: تركت سنّة صاحب هذا النعل.

وتسامع الناس فجاءوا حتى ملأوا المسجد فمن قائل: قد أحسنت، ومن قائل: ما للنساء ولهذا! حتى تخاصموا وتضاربوا بالنعال.

ودخل رهط من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عثمان فقالوا له: اتق الله ولا تعطل الحدود، واعزل أخاك عنهم، ففعل<sup>(٣٦)</sup>.

### أخطأت في الثالث

(٣٤) ذو الإصبع: طلحة بن عبيدالله.

(٣٥) الطبري: ٤٠٧/٤.

(٣٦) الأغاني: ١٤٣/٥، وشرح النهج: ٢٣٢/١٧، والسقيفة: ١٢٢.

وأقبل غلام من جهينة على محمد بن طلحة وكان محمد رجلاً عابداً فقال: اخبرني عن قتلة عثمان؟ فقال: نعم دم عثمان ثلاثة أثلاث؛ ثلث على صاحبة اليهودج - يعني عائشة - ، وثلث على صاحب الجمل الأحمر - يعني طلحة - ، وثلث على علي بن أبي طالب .

فضحك الغلام وقال: لا أراني على ضلال ولحق بعليّ وقال في ذلك شعراً:

سألت ابن طلحة عن هالك \*\*\* بجوف المدينة لم يقبر

فقال ثلاثة رهط هُمُ \*\*\* أماتوا ابن عقان واستعبر

فثلثُ على تلك التي في خدرها \*\*\* وثلثُ على راكب الأحمر

وثلث على ابن أبي طالب \*\*\* ونحن بدويّة قرقر

فقلت صدقت على الأولين \*\*\* وأخطأت في الثالث الأزهر<sup>(٣٧)</sup>

وأشار سعيد بن العاص على مروان بن الحكم وأصحابه بأخذ ثأره من هؤلاء الثلاثة بقوله:

أين تذهبون وتتركون ثأركم على اعجاز الإبل ورائكم؟ - يعني عائشة وطلحة والزبير -  
اقتلوهم ثم ارجعوا الى منازلكم<sup>(٣٨)</sup> .

وأقبل جارية بن قدامة السعدي وقال: يا أمّ المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح! إنّه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك! إنّه من رأى قتالك يرى قتلك لئن كنت أتيتنا طائعة فارجعي الى منزلك، وإن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس.

وخرج غلام شاب من بني سعد الى طلحة والزبير فقال: أما أنت يا زبير فحواري رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأما أنت يا طلحة فوقيت رسول الله بيدك وأرى أمكما معكما فهل جنتما بنسائكما؟

قال: لا قال: فما أنا منكما في شيء واعتزل وقال في ذلك:

صنتم حلائكم وقدتم أمكم \*\*\* هذا لعمر ك قلة الإنصاف

أمرت بجر ذبولها في بيتها \*\*\* فهوت تشق البيد بالإيجاف

غرضاً يقاتل دونها أبناؤها \*\*\* بالنبل والخطي والأسياف

هتكت بطلحة والزبير ستورها \*\*\* هذا المخبر عنهم والكافي<sup>(٣٩)</sup>

(٣٧) الطبري: ج ٤، ص ٤٨٢، من حوادث سنة (٣٦ هـ) وابن شبة في تاريخ المدينة: ١١٧٤/٤.

(٣٨) الطبري: ٤٥٣/٤، والكامل: ٢٠٩/٣.

### عائشة مع أمير المؤمنين (عليه السلام)

روى ابن سعد عن عائشة في خبر مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّها قالت لما ثقل رسول الله (صلى الله عليه وآله) واشتدّ به وجعه خرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الأرض بين ابن عباس - تعني الفضل - وبين رجل آخر قال المحدث عنها - وهو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود - فأخبرت عبد الله بن عباس عمّا قالت عائشة فقال لي ابن عباس: هل تدري من الرجل الذي لم تسمّ عائشة؟ قال: قلت: لا. قال ابن عباس: هو عليّ بن أبي طالب. ثم قال: إنّ عائشة لا تطيب له نفساً بخير<sup>(٤٠)</sup>.

وذكره البخاري في صحيحه باب مرض النبيّ ووفاته، وحذف قول ابن عباس أنّ عائشة لا تطيب له نفساً بخير، أداءً للأمانة في النقل ولا يسعنا إلاّ الدعاء بأن يحشره الله مع أمّ المؤمنين عائشة فإنّه من أبنائها البارّين.

وأخرج الإمام أحمد من حديث عائشة: ج ٦، ص ١١٣ من مسنده عن عطاء بن يسار قال: جاء رجل فوقع في عليّ وفي عمّار عند عائشة فقالت: أما عليّ فليست قاتلة لك فيه شيئاً، وأمّا عمّار فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول فيه: لا يُخَيَّر بين اثنين أمرين إلاّ اختار أشدهما.

يقول ابن أبي الحديد في ج ٦، ص ٢١٥: وقال أبو مخنف لوط ابن يحيى الأزدي في كتابه: إنّ عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة أقبلت مسرعة وهي تقول: إيه ذا الإصبع لله أبوك أما انهم وجدوا طلحة لها كفواً فلما انتهت الى شراف استقبلها عبيد ابن أبي سلمة الليثي فقالت له: ما عندك؟ قال: قتل عثمان، قالت: ثم ماذا؟ قال: ثمّ دارت بهم الأمور الى خير محاور بايعوا عليّاً فقالت: لوددت أنّ السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا ويحك أنظر ما تقول؟ قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين فولولت فقال لها: ما شأنك يا أم المؤمنين والله ما أعرف بين لابتيها أحداً أولى بها منه ولا أحقّ ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته فلماذا تكرهين ولايته؟ قال: فما ردّت عليه جواباً.

وفي تاريخ الطبري فقال لها:

فمنك البداء ومنك الغيرُ \*\*\* ومنك الرياح ومنك المطر

(٣٩) الطبري: ٤/٤٦٥، والكامل: ٣/٢١٤.

(٤٠) الطبقات الكبرى: ٢/٣٥٩، ٣/٣٦٥، وتاريخ الطبري: ٣/١٨٩، والروض الأنيب: ٤/٤٣٣.

وأنت أمرت بقتل الإمام \*\*\* وقلت لنا إنه قد كفر  
فهبنا أطعناك في قتله \*\*\* وقائله عندنا من أمر  
ولم يسقط السق من فوقنا \*\*\* ولم تنكشف شمسنا والقمر  
وقد بايع الناس ذا تدراً \*\*\* يزيل الشبا ويقيم الصعر  
ويلبس للحرب وأثوابها \*\*\* وما من وفي مثل من قد غدر  
فانصرفت الى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فسئرت واجتمع إليها  
الناس، فقالت: يا أيها الناس إن عثمان قُتل مظلوماً، والله لأطلبنّ بدمه<sup>(٤١)</sup>.

### غناء وضرب بالدفوف

ولما نزل عليّ (عليه السلام) ذا قار، كتبت عائشة الى حفصة بنت عمر: «أمّا بعد فإني  
أخبرك أنّ عليّاً قد نزل ذا قار وأقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدتنا وجماعتنا فهو  
بمنزلة الأشقر إنّ تقدّم عقر وإن تأخر نحر».

فدعت حفصة جوارى لها يتغنين ويضربن بالدفوف فأمرتهن أن يقلن في غنائهن:

ما الخبر ما الخبر \*\*\* عليّ في السفر

كالفرس الأشقر \*\*\* إنّ تقدّم عقر

وإن تأخر نحر

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع ذلك الغناء فبلغ أم كلثوم بنت  
عليّ (عليه السلام) فلبست جلابيبها ودخلت عليهنّ في نسوة متتكرات ثمّ أسفرت عن وجهها فلمّا  
عرفتها حفصة خجلت واسترجعت فقالت أمّ كلثوم: لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم لقد  
تظاهرتما على أخيه من قبل فأنزل الله فيكما ما أنزل<sup>(٤٢)</sup>.

فقالت حفصة: كفي رحمك الله وأمرت بالكتاب فمزّق واستغفرت الله، قال أبو مخنف:

روى هذا جرير بن يزيد عن الحكم ورواه الحسن بن دينار عن الحسن البصري وذكر

الواقدي مثل ذلك وذكر المدائني أيضاً مثله قال: فقال سهل بن حنيف في ذلك هذه الأشعار:

عذرتنا الرجال بحرب الرجال \*\*\* فما للنساء وما للسباب

(٤١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٥٩، وابن الأثير في الكامل: ٢٠٦/٣.

(٤٢) إشارة الى الآيات (٢ - ٥) من سورة التحريم.

أما حسبنا ما أتينا به \*\*\* لك الخير من هتك ذاك الحجاب  
ومخرجها اليوم من بيتها \*\*\* يعرفها الذنب نبخ الكلاب  
الى أن أتانا كتابٌ لها \*\*\* مشؤمٌ فيا قبح ذلك الكتاب<sup>(٤٣)</sup>

#### سجدة الشكر

روى أبو الفرج الاصفهاني في مقتل الإمام علي (عليه السلام) في كتابه (مقاتل الطالبين):  
«لَمَّا أن جاء عائشة قتل الإمام عليّ سجدت» أي سجدت شكراً لله.  
وروى الطبري<sup>(٤٤)</sup> وأبو الفرج وابن سعد وابن الأثير قالوا: لَمَّا أتى عائشة نعي عليّ (عليه السلام) قالت:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى \*\*\* كما قرّ عيناً بالإياب المسافر  
ثمّ قالت: من قتله؟ فقيل: رجل من مراد فقالت:  
فإن يك نائياً فلقد نعاه \*\*\* غلام ليس فيه التراب  
فقال زينب بنت أم سلمة: ألعليّ تقولين هذا؟ فقالت: إذا نسيت فذكروني. (ولا يسمع الصمّ  
الدعاء إذا ما يندرون)<sup>(٤٥)</sup>.

#### ابتداء الغدر والنكث

لما بويع عليّ (عليه السلام) كتب الى معاوية:  
«أما بعد فإنّ الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة مني وباعوني عن مشورة منهم واجتماع; فإذا أتاك  
كتابي فبايع لي وأوفد إليّ أشراف أهل الشام قبلك».  
فلَمَّا قدم رسوله على معاوية قرأ كتابه بعث رجلاً من بني عُميس وكتب معه كتاباً الى  
الزبير بن العوام وفيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله بن الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان سلام  
عليك أمّا بعد فإنّي قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب فدونك  
الكوفة والبصرة لا يسبقك إليها ابن أبي طالب فإنّه لا شيء بعد هذين المصرين وقد بايعت

(٤٣) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١٤، ص ١٣.

(٤٤) الطبري: ١٥٠/٥، والكامل: ٣٩٤/٣، والطبقات: ٢٣/٣، والموفقيات: ١٣١.

(٤٥) الأنبياء: ٤٥.

طلحة بن عبيدالله من بعدك فأظهرا الطلب بدم عثمان وادعوا الناس الى ذلك وليكن منكما الجِد والتشمير أظفركما الله وخذل مناوئكما».

فلما وصل هذا الكتاب الى الزبير سرَّ به وأعلم به طلحة وأقرأه إياه فلم يشگا في النَّصح لهما من قبل معاوية وأجمعا عند ذلك على خلاف عليّ (عليه السلام) .

جاء الزبير وطلحة الى عليّ (عليه السلام) بعد البيعة بأيام فقالا له: يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كُنَّا فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلها، وعلمت رأي عثمان، كان في بني أمية، وقد ولاك الله الخلافة من بعده فولنا بعض أعمالك. فقال لهما: «ارضيا بقسم الله لكما حتى أرى رأيي واعلما أنني لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي ومن قد عرفت دخيلته». فانصرفا عنه وقد دخلهما اليأس<sup>(٤٦)</sup> .

دخل الزبير وطلحة على عليّ (عليه السلام) فاستأذناه في العمرة، فقال: «ما العمرة تريدان، فحلفا له بالله انهما لا يريدان غير العمرة. فقال لهما: ما العمرة تريدان، وانما تريدان الغدرة ونكث البيعة، فحلفا بالله ما الخلاف عليه ولا نكث بيعة يريدان وما رأيهما غير العمرة. قال لهما: فأعيدا البيعة لي ثانية، فأعادها البيعة لي ثانية فأعادها بأشد ما يكون من الأيمان والمواثيق فأذن لهما».

فلما خرجا من عنده قال لمن كان حاضراً: «والله لا ترونهما إلا في فتنة يقتلان فيها» قالوا: يا أمير المؤمنين فمر بردهما عليك؟ قال: ليقضى الله أمراً كان مفعولاً. لما خرج الزبير وطلحة من المدينة الى مكة لم يلتقيا أحداً إلا وقالا له: ليس لعليّ في أعناقنا بيعة، وإنما بايعناه مكرهين، فبلغ علياً (عليه السلام) قولهما فقال: «أبعدهما الله وأغرب دارهما أما والله علمت انهما سيقتلان أنفسهما أحب مقل، ويأتيان من وردا عليه بأشأم يوم، والله ما العمرة يريدان، ولقد أتاني بوجهي فاجرين ورجعا بوجهي غادرين ناكثين، والله لا يلتقياني بعد اليوم إلا في كتيبة خشناء يقتلان فيها أنفسهما فبعداً لهما وسحقاً»<sup>(٤٧)</sup> .

## وتحرّك الناكثون

(٤٦) شرح النهج: ج ١، ص ٢٣١ .

(٤٧) شرح النهج: ج ١، ص ٢٣٢ .

كتب طلحة والزبير الى عائشة وهي بمكة كتاباً: ان خذلي الناس عن بيعة عليّ واطهري الطلب بدم عثمان وحملّا الكتاب مع ابن أختها عبدالله بن الزبير فلما قرأت الكتاب كاشفت واطهرت الطلب دم عثمان وكانت أمّ سلمى رضي الله عنها بمكة في ذلك العام، قال أبو مخنف: جاءت عائشة الى أمّ سلمة تُخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت لها: يا بنت أبي أمية، أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقسم لنا من بيتك وكان جبرئيل أكثر ما يكون في منزلك فقالت أم سلمة: لأمر ما قلت هذه المقالة. فقالت عائشة: إنّ عبدالله أخبرني أنّ القوم استتابوا عثمان، فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام، وقد عزمتم على الخروج الى البصرة ومعني الزبير وطلحة، فاخرجني معنا، لعلّ الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا.

قالت أمّ سلمة: إنّك كنت بالأمس تحرضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول وما كان اسمه عندك إلا نعثلاً وإنك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) أفأذكرك. قالت: نعم. قالت: أتذكرين يوم أقبل (عليه السلام) ونحن معه، حتى إذا هبط من فُديد ذات الشمال، خلا بعلي يناجيه فأطال فأردت أن تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتني فهجمت عليهما فما لبثت أن رجعت باكية فقلت: ما شأنك؟ فقلت: اتّي هجمت عليهما وهما يتناجيان فقلت لعلي: ليس لي من رسول الله إلا يوم من تسعة أيّام أفما تدعني يا بن أبي طالب ويومي. فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّ وهو غضبان محمرّ الوجه فقال: «ارجعي وراءك والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الإيمان». فرجعت نادمة ساقطة. قالت عائشة: نعم أذكر ذلك. قالت: واذكرك أيضاً، كنت أنا وأنت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنت تغسلين رأسه وأنا أحيسُّ له حيساً وكان الحيس يعجبه فرفع رأسه وقال (صلى الله عليه وآله): «يا ليت شعري أيتكنّ صاحبة الجمل الأذنب تنبجها كلاب الحوآب فتكون ناكبة عن الصراط» فرفعت يدي من الحيس فقلت: أعوذ بالله وبرسوله من ذلك. ثم ضرب على ظهرك وقال: «إياك أن تكونيها» ثم قال: «يا بنت أبي أمية إياك أن تكونيها يا حميراء» أمّا أنا فقد اندرتك. قالت: عائشة نعم أذكر هذا.

قالت: وأذكرك أيضاً كنت أنا وأنت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سفر له وكان عليّ يتعاهد نعليّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخذها يومئذ يخصفها وقعد في ظلّ سمرة وجاء أبوك ومعه عمر فاستأذنا عليه فقمنا الى الحجاب ودخلا يحادثانه فيما أراد.

ثم قالوا: يا رسول الله إنا لا ندري قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً فقال لهما: «أما أرى قد أرى مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران».

فسكتا ثم خرجا فلما خرجنا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قلت له، وكنت أجراً عليه منّا: من كنت يا رسول الله مُستخلفاً عليهم؟ فقال (صلى الله عليه وآله): خاصف النعل، فنظرنا فلم نر أحداً إلا علياً فقلت: يا رسول الله ما أرى إلا علياً فقال: هو ذاك، فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك. فقالت: فأبي خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت: إنما أخرج للإصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله. فقالت: أنت ورأيك فانصرفت عائشة عنها، وكتبت أم سلمة بما قالت وقيل لها الى علي (عليه السلام) (٤٨).

#### شتان ما بين الموقفين

يقول ابن أبي الحديد في ج ٦، ص ٢١٩: وروى هشام بن محمد الكلبي في كتاب الجمل: إن أم سلمة كتبت الى علي (عليه السلام) من مكة: أما بعد، فإن طلحة والزبير وأشياعهم وأشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة الى البصرة ومعهم عبدالله بن عامر بن كرز ويزكرون أنّ عثمان قتل مظلوماً وأنهم يطلبون بدمه والله كافيهم بحوله وقوته ولولا ما نهانها الله عنه من الخروج وأمرنا به من لزوم البيت لم أدع الخروج إليك والنصرة لك ولكئي باعثة نحوك ابني عدل نفسي عمر بن أبي سلمة فاستوص به خيراً (٤٩).

لما عازمت عائشة على الخروج الى البصرة طلبوا لها بغيراً أيداً يحمل هودجها فجاءهم يعلى بن أمية ببعيره المسمى عسكرياً وكان عظيم الخلق شديداً فلما رآته أعجبها وأنشأ الجمال يحدثها بقوته وشدته ويقول في أثناء كلامه: «عسكري» فلما سمعت هذه اللفظة استرجعت وقالت ردّوه لا حاجة لي فيه وذكرت حيث سئلت أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذكر لها هذا الاسم ونهاها عن ركوبه فأمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه فغئير بجلال غير جلاله وقيل لها قد أصبنا لك أعظم منه خلقاً وأشدّ قوّة وأتيت به فرضيت!!

(٤٨) شرح النهج: ج ٦، ص ٢١٦ - ٢١٨، والمعيار الموازنة: ٢٧ - ٢٩.

(٤٩) تاريخ الطبري: ٤/٤٥١، المعيار والموازنة: ٣٠.



ثم قال ابن أبي الحديد: قال أبو مخنف: وأرسلت الى حفصة تسألها الخروج والمسير معها فبلغ ذلك عبدالله بن عمر فأتى أخته فعزم عليها فأقامت وحطت الرحال بعدما همّت<sup>(٥٠)</sup>.

### حفصة وعائشة نضال مشترك

أسرّ النبي (صلى الله عليه وآله) حديثاً لأمّ المؤمنين حفصة بنت عمر وبحكم العلاقة الزوجية والثقة المتبادلة وأنها شريكة الحياة والهموم ما كان يخطر على باله أنّها تفتشي وتكشف عن سرّه وأن من عادات العرب حفظ الأسرار ولو أدّى الى الأضرار، لكن أمّ المؤمنين حفصة سارعت الى أمّ المؤمنين عائشة، واخبرتها بما قال الرسول وهكذا انتشر وظهر ما أسرّه سيّد البشر فنزلت الآيات في شأن هذه القضية تقول: (وإذ أسرّ النبي الى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير\* إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو موليه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير)<sup>(٥١)</sup>.

فكلها تهديد ووعد وإنكار شديد وكلام غليظ وما هو إلا تعبير عمّا في نفس رسول الله من لوعة وألم بسبب إفشاء السرّ.

فنرى الموقف الموحد والنضال المشترك المعبر عنه في الآية بالتظاهر، فعلى هذا لا يصحّ خبر، أو أثر ومن السداجة والبلادة أن ينقل الناقل أن يقول القائل أنّ رسول الله كان يميل الى عائشة أو أنّ عائشة قالت: أي أحبّ نساءه إليه لا سيّما على قول القائل حسبنا كتاب الله فهذا النقل أو القول لا ينسجم مع هذه الآيات.

ثم أن الطبيعة البشرية تقضي بذلك فإن الرجل يفر وينفر من هكذا زوجة هي مصدر قلقه وانزعاجه فما يروى من مدح وثناء واطراء يذوب وينصهر أمام آيات الله الحميد، ولو كان من صخر وحديد فكيف إذا كان كفضل الثريد.

### كلام الحوَاب

يقول ابن أبي الحديد في ج ٩، ص ٣١٠: وروى أبو مخنف قال: حدثنا إسماعيل بن خالد عن قيس ابن أبي حازم. وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وروى حرين بن يزيد عن عامر الشعبي وروى محمد بن إسحاق عن حبيب بن عمير قالوا جميعاً:

(٥٠) شرح النهج: ج ٦، ص ٢٢٤ - ٢٢٥، والطبري: ٤٥٤/٤.

(٥١) التحريم: ٣ - ٤.

لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة الى البصرة طرقت ماء الحوآب وهو ماء لبني عامر بن صعصعة فنبحتهم الكلاب فنفرت صعاب إبلهم فقال قائل منهم: لعن الله الحوآب فما أكثر كلابها فلما سمعت عائشة ذكر الحوآب، قالت: أهذا ماء الحوآب؟<sup>(٥٢)</sup> قالوا: نعم، فقالت: ردوني ردوني، فسألوها ما شأنها ما بدا لها فقالت: إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «كأني بكلاب ماء يدعى الحوآب، قد نبحت بعض نسائي» ثم قال لي: «إياك يا حميراء أن تكونيها». فقال لها الزبير: مهلاً يرحمك الله فإننا قد جُرنا ماء الحوآب بفراسخ كثيرة، فقالت: اعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوآب فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابياً جعلاً لهم جُعلاً فحلفوا لها وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوآب فكانت هذه أول شهادة زور في الإسلام<sup>(٥٣)</sup>.

\* \* \*

ثم قال ابن أبي الحديد في ص ٣١١: قال أبو مخنف: وحدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن الزبير وطلحة أظنا<sup>(٥٤)</sup> السير بعائشة حتى انتهوا الى حفر أبي موسى الأشعري وهو قريب من البصرة وكتبا الى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامل عليّ (عليه السلام) على البصرة: أن أخل لنا دار الإمارة.

فلما وصل كتابهما إليه بعث الى الأحنف بن قيس، فقال له: إن هؤلاء القوم قدموا علينا ومعهم زوجة رسول الله، والناس إليها سراع كما ترى.

فقال الأحنف: إنهم جاءوك بها للطلب بدم عثمان وهم الذين ألبوا على عثمان الناس، وسفكوا دمه... وأشار على ابن حنيف بالتأهب والنهوض.

فقال ابن حنيف: الرأي ما رأيته. لكنني أكره الشرّ وأن أبدأهم به، وأرجوا العافية والسلامة الى أن يأتيني كتاب أمير المؤمنين ورأيه فأعمل به.

قال: وكتب عليّ الى عثمان بن حنيف لما بلغه مشاركة القوم البصرة :

«من عبد الله عليّ أمير المؤمنين الى عثمان بن حنيف: أما بعد فإنّ البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا الى مصرك وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به والله أشدّ بأساً وأشدّ تنكياً فإذا قدموا عليك فادعهم الى

(٥٢) الطبري: ٤/٤٥٧، والكامل: ٣/٢١٠، وكنز العمال: ١١/١٥٠.

(٥٣) المسعودي: ٢/٣٦٧، والحليّة: ٣/٢٨٦، والمحاسن للبيهقي: ٤٣.

(٥٤) الأغاذه: الاسراع.

الطاعة والرجوع الى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقوا عليه فإن أجابوا فأحسن جوارهم ماداموا عندك وإن أبوا إلا التمسك بحبل النكت والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين».

فلما وصل كتاب عليّ (عليه السلام) الى عثمان أرسل الى أبي الأسود الدؤلي وعمران بن الحصين الخزاعي فأمرهما أن يسيرا حتى يأتياه بعلم القوم وما الذي أقدمهم فانطلقا حتى أتيا حفر أبي موسى وبه معسكر القوم فدخلوا على عائشة فنالها ووعظها وأذكارها ونشداها الله فقالت لهما: ألقيا طلحة والزبير فقاما من عندهما ولقيا الزبير فكلماه فقال لهما: إنا جننا للطلب بدم عثمان وندعو الناس الى أن يردوا أمر الخلافة شورى فقالا له أن عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها وأنت تعلم قتلة عثمان من هم وأين هم وانك وصاحبك وعائشة كنتم أشد الناس عليه وأعظمهم إغراءً بدمه فأقيدوا من أنفسكم.

وأما إعادة أمر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم علياً، طائعين غير مكرهين وأنت يا أبا عبدالله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنت أخذ قائم سيفك تقول: ما أحدٌ أحقّ بالخلافة منه ولا أولى بها منه وامتنعت من بيعة أبي بكر فأين ذلك الفعل من هذا القول.

فقال لهما: اذهبا فالقيا طلحة فقاما الى طلحة فوجداه أخشن الملمس شديد العريكة قوي العزم في إثارة الفتنة وإضرار نار الحرب فانصرفا الى ابن حنيف فأخبراه وقال له أبو الأسود:

يا ابن حنيف قد أتيت فأففر \*\*\* وطاعن القوم وجالد واصبر  
وأبرز لها مستلماً وشمر

فقال ابن حنيف: أي والحرمين لأفعلن وأرم مناديه فنادى في الناس السلاح السلاح فاجتمعوا إليه<sup>(٥٥)</sup>.

قال: وأقبل القوم فلما انتهوا الى المربرد قام رجل من بني جشم فقال: أيها الناس أنا فلان الجشمي وقد أتاكم هؤلاء القوم فإن كانوا أتوكم خائفين لقد أتوكم من المكان الذي يأمن فيه الطير والوحش والسباع، وإن كانوا أئماً أتوكم بطلب دم عثمان فغيرنا ولي قتله فاطيعوني، أيها الناس ردوهم من حيث أقبوا، فإنكم إن لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس والفتنة الصماء التي لا تبقي ولا تذر. فحصبه ناس من أهل البصرة فأمسك.

واجتمع أهل البصرة الى المربرد حتى ملأوه مشاةً وركباناً فقام طلحة فأشار الى الناس بالسكوت ليخطب، فسكوتوا بعد جهد.

(٥٥) شرح النهج: ج ٩، ص ٣١٣ وفي العقد الفريد: ج ٥، ص ٦٣ - ٧٩ ذكر نبذاً من يوم الجمل.

فكانت خطبته مدحاً وثناءً واطراءً على عثمان بن عفان وانه قتل مظلوماً وجئنا نطلب بدمه.

ثم قام الزبير فتكلم بمثل كلام طلحة.

فقام إليهما ناس من أهل البصرة فقالوا لهما: ألم تبايعا علياً فيمن بايعه، ففيم بايعتما ثم نكثتما؟ فقالا: ما بايعناه وما لأحد في أعناقنا بيعة، وإنما استكرهنا على بيعته.

ثم اقبلت عائشة على جملها، فنادت بصوت مرتفع: أيها الناس! أفلوا الكلام واسكتوا، فاسكت الناس لها، فتكلمت بمثل ما تكلم به طلحة والزبير في شأن عثمان وجاء في آخر كلامها:

ألا إن عثمان قتل مظلوماً، فاطلبوا قتلته، فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم، ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان.

فهاج الناس واختلطوا، فمن قائل القول ما قالت ومن قائل يقول: ماهي وهذا الأمر؟ إنما هي امرأة مأمورة بلزوم بيتها، وارتفعت الأصوات، وكثر اللغظ، حتى تضاربوا بالنعال، وتراموا بالحصى.

ثم إن الناس تمايزوا فصاروا فريقين: فريق مع عثمان بن حنيف، وفريق مع عائشة وأصحابها<sup>(٥٦)</sup>.

قال أبو مخنف: فلما أقبل طلحة والزبير من المربد يريدان عثمان بن حنيف، فوجداه وأصحابه قد أخذوا بأفواه السكك، فمضوا حتى انتهوا الى موضع الدباغين فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة والزبير واصحابهما بالرماح.

فحمل عليهم حكيم بن جبلة، فلم يزل هو وأصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جميع السكك، ورمتهم النساء من فوق البيوت بالحجارة فأخذوا الى مقبرة بني مازن، فوقفوا بها ملياً حتى ثابت إليهم خيلهم، ثم أخذوا على مسناة البصرة حتى انتهوا الى الرابوقة<sup>(٥٧)</sup> ثم أتوا سبخة دار الرزق، فنزلوها وأتاهما عبدالله بن حكيم التميمي لما نزل السبخة بكتب كانا كتبها إليه، فقال لطلحة: يا أبا محمد أما هذه كتبك إلينا قال: بلى. قال: فكتبت أمس تدعونا الى خلع

(٥٦) شرح النهج: ٩، ص ٣١٤ - ٣١٦، والكامل: ج ٣ / ٢١١ - ٢١٣، والطبري: ٤٦٤/٤ .  
(٥٧) في النسخة: الزابوقة.

عثمان وقتله حتى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه فلعمري ما هذا رأيك، لا تريد إلا هذه الدنيا، مهلاً.

إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من عليّ ما عرض عليك من البيعة، فبايعته طائعاً راضياً، ثم نكثت بيعتك، ثم جنّت لتدخلنا في فتنتك.

فقال: إنّ عليّاً دعاني الى بيعته بعد ما بايع الناس فعلمت لو لم أقبل ما عرضه عليّ لم يتم لي، ثم يغري بي من معه<sup>(٥٨)</sup>.

ثم أصبحا من غد، فصقّا للحرب، وخرج عثمان بن حنيف إليهما في أصحابه، فناشدهما الله والإسلام وأذكرهما ببيعتهما عليّاً (عليه السلام) فقالا: نطلب بدم عثمان. فقال لهما: وما أنتما وذاك، أين بنوه؟ أين بنو عمّه الذين هم أحقّ به منكم...

الى أن قال: وهل كان أحد أشدّ على عثمان قولاً منكما فشتماه شتماً قبيحاً، وذكر أمّه. فقال للزبير: أما والله لولا صفيّة ومكانها من رسول الله فأبها أدنك الى الظل، وأن الأمر بيني وبينك يابن الصعبة - يعني طلحة - أعظم من القول لأعلمتكما من أمركما ما يسوءكما. اللهم إني قد أعذرت الى هذين الرجلين.

ثم حمل عليهم، واقتتل الناس قتالاً شديداً، ثم تحاجزوا واصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح فكتب:

هذا ما اصطاح عليه عثمان بن حنيف الأنصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وطلحة والزبير ومن معهما...

وجاء في آخره: وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه، وأشدّ ما أخذه على نبي من أنبيائه، من عهد وذمة.

وختم الكتاب: ورجع ابن حنيف حتى دخل دار الامارة وقال لأصحابه: الحقوا رحمكم الله بأهلكم، وضعوا سلاحكم، وداووا جرحاكم، فمثكوا كذلك أيّاماً. ثم إنّ طلحة والزبير قالوا: إن قدم عليّ ونحن على هذه الحال من القلة والضعف ليأخذن بأعناقنا فأجمعنا على مراسلة القبائل واستمالة العرب، فأرسلنا الى وجوه الناس وأهل الرياسة والشرف، يدعونهم الى الطلب بدم عثمان، وخلع علي واخراج ابن حنيف من البصرة. فبايعهم على ذلك الأزدي وضبة وقيس بن عيلان كلها إلا الرجل والرجلين من القبيلة.

## خرجوا للإصلاح

فلما استوثق لطلحة والزبير أمرهما، خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر، ومعهما أصحابهما، قد ألبسوهم الدروع، وظاهروا فوقها بالثياب فانتهوا الى المسجد وقت صلاة الفجر، وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه وأقيمت الصلاة، فتقدم عثمان ليصلي بهم فأخّره أصحاب طلحة والزبير، وقدموا الزبير فجاءت السباجة - وهم الشرط حرس بيت المال - فأخرجوا الزبير، وقدموا عثمان، فغلبهم أصحاب الزبير، فقدموا الزبير وأخرجوا عثمان، فلم يزلوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع، وصاح بهم أهل المسجد: ألا تتقون أصحاب محمد وقد طلعت الشمس؟! فغلب الزبير فصلى بالناس، فلما انصرف من صلاته، صاح بأصحابه المستسلحين: أن خذوا عثمان بن حنيف فأخذوه، بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفهما فلما أسر ضرب ضرب الموت، وנתف حاجباه وأشفار عينيه وكلّ شعرة في رأسه ووجهه وأخذوا السباجة وهم سبعون رجلاً فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف الى عائشة. فقالت لأبان بن عثمان: أخرج إليه فاضرب عنقه، فإنّ الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله.

فنادى ابن حنيف: يا عائشة، ويا طلحة ويا زبير، إنّ أخي سهل بن حنيف خليفة علي بن أبي طالب على المدينة وأقسم بالله إن قتلتموني ليضعن السيف في بني أبيكم وأهلكم ورهطكم، فلا يُبقي أحداً منكم.

فكفوا عنه، وخافوا أن يقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة فتركوه<sup>(٥٩)</sup>. وأرسلت عائشة الى الزبير أن أقتل السباجة فإنه قد بلغني الذي صنعوا بك. قال: ذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم، وليّ ذلك منهم عبدالله ابنه، وهم سبعون رجلاً وبقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال، قالوا: لا ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين. فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً، فأوقع بهم، وأخذ منهم خمسين أسيراً فقتلهم صبراً. قال أبو مخنف: فحدثنا الصقعب بن زهير، قال: كانت السباجة القتلى يومئذ أربعمائة رجل.

قال: وكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حنيف أوّل غدر في الإسلام وكان السباجة أوّل قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبراً. قال: وخيروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعليّ، فاختر الرحيل فخلوا سبيله، فلحق بعليّ (عليه السلام) فلما رآه بكى، وقال له: فارقتك شيخاً وجئتك أمرداً. فقال عليّ (عليه السلام): إنّ الله وإنا إليه راجعون. قالها ثلاثاً<sup>(٦٠)</sup>.

(٥٩) الكامل لابن الأثير: ٢١٥/٣.

(٦٠) شرح النهج: ج ٩، ص ٣٢٠ - ٣٢١، والمسعودي: ٣٦٧/٢، والكامل: ٢١٦/٣، ٢٢٦، وتاريخ الطبري: ٤٦٩/٤، ٤٨٠.

## يوم الجمل الأصغر

فلما بلغ حكيم بن جبلة ما صنع القوم بعثمان بن حنيف، خرج في ثلاثمائة من عبدالقيس مخالفاً لهم ومنازلاً، فخرجوا إليه وحملوا عائشة على جمل، فسمي ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر، ويوم علي (عليه السلام) يوم الجمل الأكبر.

وتجالد الفريقان بالسيوف، فشدّ رجل من الأزدي من عسكر عائشة على حكيم بن جبلة فضرب رجله فقطعها، ووقع الأزدي عن فرسه، فجثا حكيم فأخذ رجله فرمى بها الأزدي فصرعه، ثم دبّ إليه فقتله متكئاً عليه، خانقاً له حتى زهقت نفسه فمرّ بحكيم إنسان وهو يجود بنفسه، وقال: من فعل بك؟ قال: وسادتي فنظر فإذا الأزدي تحته، وكان حكيم شجاعاً مذكوراً.

قال: وقتل مع حكيم إخوة له ثلاثة، وقتل أصحابه كلهم وهم ثلاثمائة من عبدالقيس والقليل منهم من بكر بن وائل.

فلما صفت البصرة لطلحة والزبير بعد قتل حكيم وأصحابه وطرد ابن حنيف اختلفاً في الصلاة وأراد كلّ منهما أن يؤمّ بالناس وخاف أن تكون صلاته خلف صاحبه تسليماً له ورضاً بتقدّمه.

فأصلحت بينهما عائشة، بأن جعلت عبدالله بن الزبير ومحمّدين طلحة يصليان بالناس، هذا يوماً وهذا يوماً<sup>(٦١)</sup>.

## رسالة من أمّ الى ابنها

لما نزل عليّ (عليه السلام) بالبصرة كتبت عائشة الى زيد بن صوحان العبدي: من عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبيّ (صلى الله عليه وآله) الى ابنها الخالص زيد بن صوحان<sup>(٦٢)</sup>.  
أما بعد فأقم في بيتك وخذل الناس عن عليّ وليبلغني عنك ما أحب فأئك أوثق أهلي عندي والسلام.

فكتب إليها: من زيد بن صوحان الى عائشة بنت أبي بكر: أما بعد فإنّ الله أمرك بأمر وأمرنا بأمر، أمرك أن تقرّي في بيتك وأمرنا أن نجاهد، وقد أتاني كتابك فأمرتني أن أصنع خلاف ما أمرني الله فأكون قد صنعت ما أمرك الله به، وصنعت ما أمرني الله به، فأمرك عندي غير مطاع وكتابك غير مجاب والسلام<sup>(٦٣)</sup>.

(٦١) شرح النهج: ص ٣٢٢، والمسعودي: ٣٦٧/٢.

(٦٢) الطبري: ٤٧٦/٤، والكامل: ٢١٦/٣.

(٦٣) شرح النهج: ج ٦، ص ٢٢٦ - ٢٢٧، والعقد الفريد: ٦٧/٥.

## الأمر أمرها

وروى الشعبي عن مسلم بن أبي بكره عن أبيه أبي بكره، قال: لما أقدم طلحة والزبير البصرة تقلدت سيفي وأنا أريد نصرهما، فدخلت على عائشة وإذا هي تأمر وتنهى وإذا الأمر أمرها فذكرت حديثاً كنت سمعته عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) : «لن يفلح قوم تدبر أمرهم امرأة». فانصرفت واعتزلتهم.

يقول ابن أبي الحديد وقد روى هذا الخبر على صورة أخرى: «إنّ قوماً يخرجون بعدي في فئنة، رأسها امرأة، لا يفلحون أبداً»<sup>(٦٤)</sup>.

## أعذر من أنذر

لما تزاحف الناس يوم الجمل والتقوا قال علي(عليه السلام) لأصحابه: لا يرمين رجل منكم بسهم ولا يطعن أحدكم فيهم برمح، حتى أحدث إليكم وحتى أحدث إليكم وحتى يبدءوكم بالقتال وبالقتل. فرمى أصحاب الجمل عسكر علي(عليه السلام) بالنبل رمياً شديداً متتابعاً، فضجّ إليه أصحابه، وقالوا: عرفتنا سهامهم يا أمير المؤمنين وجيء برجل إليه وانه لفي فسطاط له صغير، فقيل له: هذا فلان قد قتل، فقال: اللهم اشهد، ثم قال: اعذروا الى القوم. فأتي برجل آخر فقيل: وهذا قد قُتل فقال: اللهم اشهد اعذروا الى القوم. ثم أقبل عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وهو من أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله) يحمل أخاه عبدالرحمن بن بديل، قد أصابه سهم فقتله، فوضعه بين يدي علي(عليه السلام) وقال: يا أمير المؤمنين، هذا أخي قد قُتل. فعند ذلك استرجع علي(عليه السلام) ودعا بدرع رسول الله(صلى الله عليه وآله) ذات الفضول فلبسها فتدلّت بطنه فرفعها بيده وقال لبعض أهله، فحزّم وسطه بعمامة، وتقلّد ذا الفقار ودفع الى ابنه محمّد راية رسول الله(صلى الله عليه وآله) والسوداء، وتعرف بالعقاب. وقال للحسن والحسين(عليهما السلام) إنّما دفعت الراية الى أخيكما، وتركتمكما لمكانكما من رسول الله(صلى الله عليه وآله)<sup>(٦٥)</sup>.

## مسلم اسم على مسمّى

(٦٤) شرح النهج: ص ٢٢٧.

(٦٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عن أبي مخنف: ج ٩ ص ١١١.



قال أبو مخنف: وطاف عليّ (عليه السلام) على أصحابه وهو يقرأ: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلّوا من قلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) (٦٦).

ثم قال: أفرغ الله علينا وعليكم الصبر، وأعزّ لنا ولكم النصر، وكان لنا ولكم ظهيراً في كل أمر. ثم رفع مصحفاً بيده فقال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم الى ما فيه، وله الجنة، فقام غلام اسمه مسلم عليه قباء أبيض، فقال: أنا آخذه، فنظر إليه عليّ (عليه السلام) وقال: يا فتى إن أخذته، فإن يدك اليمنى تقطع، فتأخذه بيدك اليسرى فتقطع، ثم تضرب بالسيف حتى تقتل، فقال: لا صبر لي على ذلك. فنادى عليّ ثانية: فقام الغلام، وأعاد عليه القول وأعاد الغلام القول مراراً، حتى قال الغلام: أنا آخذه، وهذا الذي ذكرت في الله قليل. فأخذه وانطلق، فلما خالطهم ناداهم: هذا كتاب الله بيننا وبينكم فضربه رجل فقطع يده اليمنى، فتناوله باليسرى فضربه أخرى فقطع اليسرى فاحتضنه فضربوه بأسياقهم، حتى قتل. فقالت أم ذريح العبدية في ذلك:

يا ربّ إنّ مسلماً أتاهم \*\*\* بمصحف أرسله مولاهم  
للعدل والإيمان قد دعاهم \*\*\* يتلو كتاب الله لا يخشاهم  
فخضبوا من دمه ظباهم (٦٧) \*\*\* وأمهم واقفة تراهم  
تأمرهم بالغلي لا تنهاهم (٦٨)

فعند ذلك أمر عليّ (عليه السلام) ولده محمّداً أن يحمل الراية، فحمل وحمل معه الناس، واستحر القتلى في الفريقين وقامت الحرب على ساق (٦٩).  
وركبت عائشة يوم الحرب الجمل المسمى عسكرياً في هودج، قد ألبس الرفراف ثم ألبس جلود النمر، ثم ألبس فوق ذلك دروع الحديد (٧٠).  
وأخذت عائشة كفاً من حصى، فحصبته به أصحاب عليّ (عليه السلام) وصاحت بأعلى صوتها: شاهت الوجوه كما صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم حُنين، فقال لها قائل: وما رميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى.

(٦٦) البقرة: ٢١٤.

(٦٧) ظباهم: سيوفهم.

(٦٨) الطبري: ٥١١/٤، ٥٢٩، والمسعودي: ٣٧٠/٢، والكامل: ٢٦٢/٣.

(٦٩) تاريخ الطبري: ١١٢/٤.

(٧٠) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ٦، ص ٢٢٧، وتاريخ الطبري: ٥٠٧/٤، والمسعودي: ٣٧٠/٢.

وزحف عليّ (عليه السلام) نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار، وحواله بنوه: حسن وحسين ومحمّد (عليهم السلام) ودفع الراية الى محمّد، وقال: أقدم بها حتى تركزها في عين الجمل، ولا تقفنّ دونه.

فتقدّم محمد فرشقته السهام، فقال لأصحابه: رويداً حتى تنفذ سهامهم، فلم يبق لهم إلا رشقة أو رشقتان فأنفذ إليه عليّ (عليه السلام) ويستحّته ويأمره بالمناجزة، فلما أبطأ عليه جاء بنفسه من خلفه، فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن، وقال له: أقدم لا أمّ لك. فكان محمد (رضي الله عنه) إذا ذكر ذلك يبكي ويقول: لكأني أجد ريح نفسه في قفائي، والله لا أنسى أبداً.

ثم أدركت عليّاً (عليه السلام) رقة على ولده، فتناول الراية منه بيده اليسرى وذو الفقار مشهور في يمينه ثم حمل فغاص في عسكر الجمل، ثم رجع وقد انحنى سيفه، فأقامه بركبتيه فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمّار: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين فلم يجب أحداً منهم، ولا ردّ إليهم بصره وظلّ ينحط ويزأر زئير الأسد، حتى فرق من حوله. وتبادروه وإنه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة لا يبصر من حوله ولا يردّ حواراً.

ثم دفع الراية الى ابنه محمد، ثم حمل حملة ثانية وحده فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قدماً قدماً والرجال تفرّ من بين يديه وتناحز عند يمينه ويسرة حتى خضبّ الأرض بدماء القتلى، ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبتيه فأعصوب به أصحابه وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام وقالوا: إنك إن تصب يذهب الدين، فأمسك ونحن نكفيك فقال: والله ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة.

ثم قال لمحمد ابنه: هكذا تصنع يابن الحنفية. فقال الناس: من الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين<sup>(٧١)</sup>.

قال أبو مخنف: وحدثنا مسلم الأعور عن حبة العرنى قال: فلما رأى عليّ (عليه السلام) أنّ الموت عند الجمل وإنه مادام قائماً فالحرب لا تطفأ، وضع سيفه على عاتقه، وعطف نحوه وأمر أصحابه بذلك، ومشى نحوه والخطام مع بني ضبة فاقتتلوا قتالاً شديداً واستحرّ القتل في بني ضبة فقتل مهم مقتلة عظيمة وخلص عليّ (عليه السلام) في جماعة من النخع وهمدان الى الجمل، فقال لرجل من النخع اسمه بجير: دونك الجمل يا بجير، فضرب عجز الجمل بسيفه فوقع لجنبه، وضرب بجرانه الأرض وعجّ عجيجاً لم يسمع بأشدّ منه، فما هو إلا أن صرع الجمل حتى فرت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب.

(٧١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢٥٧/١.

واحتملت عائشة بهودجها، فحملت الى دار عبدالله بن خلف، وأمر عليّ (عليه السلام) بالجميل أن يحرق ثم يذرى في الريح وقال: لعنه الله من دابة فما أشبهه بعجل بني إسرائيل، ثم قرأ: (وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لנحرقتہ ثم لننسفته في اليم نسفاً) (٧٢)(٧٣) .

بعث عليّ (عليه السلام) عبدالله بن عباس الى عائشة يأمرها بالرحيل الى المدينة، قال: فأتيتها فدخلت عليها، فلم يوضع لي شيئاً أجلس عليه فتناولت وسادة كانت في رحلها، فقعدت عليها. فقالت: يا بن عباس، اخطأت السنة فعدت على وسادتنا في بيتنا بغير إذننا! فقلت: ليس هذا بيتك الذي أمرك الله أن تقرّي فيه، ولو كان بيتك ما قعدت على وسادتك إلا بإذنك ثم قلت: إن أمير المؤمنين أرسلني إليك يأمرك بالرحيل الى المدينة (٧٤) .

يقول ابن أبي الحديد في ج ١٧، ص ٢٥٤: والذي جرى لها كان خطأ منها، فأبي ذنب لأمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك ولو أقامت في منزلها لم تبتذل بين الأعراب وأهل الكوفة، على أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أكرمها وسانها وعظم من شأنها، ومن أحب أن يقف على ما فعله معها فليطالع كتب السيرة.

ولو كانت فعلت بعمر ما فعلت به، وشقت عصا الأمة عليه ثم ظفر بها لقتلها ومزقها إرباً إرباً ولكن عليّاً كان حليماً كريماً.

يقول ابن أبي الحديد: اتفقت الرواة كلها على أنه (عليه السلام) قبض ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابة ومملوك ومتاع وعروض، قسّمه بين أصحابه وأنهم قالوا له: أقسم بيننا: أهل البصرة نجعلهم رقيقاً فقال: لا، فقالوا: فكيف تحل لنا دمائهم وتحرم علينا سبيهم.

فقال: كيف يحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة وإسلام أما ما أجلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، وأما ما وارت الدور واغلقت عليه الأبواب فهو لأهله ولا نصيب لكم في شيء منه فلما أكثروا عليه قال: فأقرعوا على عائشة لأدفعها الى من تصيبه القرعة، فقالوا: نستغفر الله يا أمير المؤمنين ثم انصرفوا (٧٥) .

عن حذيفة قال: لو حدثتكم أن أممكم تغزوكم لتصدقوني؟ قال: أوحق ذلك؟ قال: حق (٧٦) . وقال: أرايتكم لو حدثتكم أن أممكم تخرج في فرقة من المسلمين وتقاتلكم صدقتموني؟ قالوا: سبحان الله! ويكون هذا (٧٧) .

(٧٢) طه: ٩٧ .

(٧٣) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢٦٦/١ .

(٧٤) شرح النهج: ج ٦، ص ٢٢٩ باختصار، العقد الفريد: ٧٦/٥ ط العلمية، بيروت، والمسعودي: ٣٧٧/٢ .

(٧٥) شرح النهج: ٢٥٠/١، وكنز العمال: ١٥٠/١١ .

(٧٦) كنز العمال: ١٥٠/١١ ح ١٥٤ ح ٣١٦٦٣ .

وفي الطبري عن أبي رجاء قال: رأيت رجلاً قد اصطلمت أذنه، قلت: أخلقة أم شيء أصابك؟ قال: أحدثك بينا أنا أمشي بين القتلى يوم الجمل فإذا رجل يفحص برجله وهو يقول: لقد أوردتنا حومة الموت أمنا \*\*\* فلم ننصرف إلا ونحن رواءً  
أطعنا قريشاً ضلّةً من حلومنا \*\*\* ونصرتنا أهل الحجاز عناءً  
قلت: يا عبدالله قل: لا إله إلا الله، قال: ادن مني ولقني فإن في أذني وقرأ فدنوت منه فقال لي: ممن أنت؟ قلت: رجل من الكوفة فوثب عليّ فاصطلم أذني كما ترى، ثم قال: إذا لقيت أمك فأخبرها أنّ عمير بن الأهلب الضبي فعل بك هذا<sup>(٧٨)</sup>.

يقول ابن أبي الحديد: وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلما ظفر بها أكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبدالقيس عمّهنّ بالعمائم وقلدهنّ بالسيوف، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به وتأففت وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهنّ وقلن لها: إنّما نحن نسوة<sup>(٧٩)</sup>.

#### كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره

قال أبو الأسود الدؤلي: لما ظهر عليّ (عليه السلام) يوم الجمل، دخل بيت المال بالبصرة في ناس من المهاجرين والأنصار وأنا معهم، فلما رأى كثرة ما فيه، قال: غري غيري... مراراً .  
ثم نظر إلى المال وصعد فيه بصره وصوب، وقال: اقسموه بين أصحابي خمسمائة، فقسّم بينهم، فلا والذي بعث محمداً بالحقّ ما نقص درهماً ولا زاد درهماً، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره، وكان ستّة آلاف ألف درهم، والناس اثنا عشر ألفاً<sup>(٨٠)</sup>.

#### الإيثار

حبة العرنى، قسّم عليّ بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة خمسمائة، وأخذ خمسمائة درهم كواحد منهم  
فجاءه إنسان لم يحضر الواقعة فقال: يا أمير المؤمنين كنت

(٧٧) كنز العمال: ١١ / ١٥٤ ح ٣١٦٩٠.

(٧٨) الطبري: ٤ / ٥٢٤، والمسعودي: ٢ / ٣٧٩، والكامل: ٣ / ٢٥٢.

(٧٩) شرح النهج: ١ / ٢٣، والمسعودي: ٢ / ٣٧٩، والعقد الفريد: ٥ / ٧٦، والطبري: ٤ / ٥١٠.

(٨٠) شرح النهج: ١ / ٢٤، وتاريخ الطبري: ٤ / ٥٤١، والمسعودي: ٢ / ٣٨٠.

شاهداً معك بقلبي وإن غاب عنك جسمي فاعطني من الفيء  
شيئاً فدفع إليه الذي أخذه لنفسه وهو خمسمائة درهم ولم يصب من الفيء شيئاً<sup>(٨١)</sup>.  
من خطبة لعلّي في قادة الجمل

فخرجوا يجرون حرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما تجرّ الأمة عند شرائها متوجّهين بها الى البصرة  
فحبسا نساءهما في بيوتهما وأبرزوا حبيس رسول الله (صلى الله عليه وآله) لهما ولغيرهما في جيش ما منهم إلا وقد  
أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعاً غير مكره فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم  
من أهلها فقتلوا طائفة صبراً وطائفة غدراً<sup>(٨٢)</sup>.

صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله)

قام النبي (صلى الله عليه وآله) خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة، ههنا الفتنة، ههنا  
الفتنة، من حيث يطلع قرن الشيطان<sup>(٨٣)</sup>.

وفي صحيح مسلم: خرج رسول الله من بيت عائشة فقال: رأس الفتنة الكفر من ههنا من حيث  
يطلع قرن الشيطان.

الى هنا ننهي الكلام بفضل الملك العلام حول الناكثين لبيعة الإمام أصحاب الجمل الذين  
قادهم الهوى والأمل ورجعوا بالخيبة والفشل ثم يأتي الحديث عن الطائفة الثانية التي قادها  
معاوية وعمرو فأورداها النار الحامية - أعني القاسطين - كما سمّاهم سيّد المرسلين عليه  
صلوات المصلين وعلى آله الطاهرين والحمد لله ربّ العالمين.

(٨١) شرح النهج: ٢٥٠/١، والمسعودي: ٣٨٠/٢.

(٨٢) نهج البلاغة: خطبة ١٧٢.

(٨٣) البخاري: في باب ما جاء في بيوت أزواج النبي.

## القاسطون

كما سماهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بمعنى الجور والعدول عن الحقّ ومنه قوله تعالى: (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً)، وكذلك سماهم (صلى الله عليه وآله) الفئة الباغية لأنها بغت على الإمام (عليه السلام) واعتدت وتعدت وسميت فيما بعد وقعة صفين أو معركة صفين. يقول ابن أبي الحديد في شرحه على النهج: ج ١، ص ٢٠١، وأما الطائفة الفاسقة فأصحاب صفين وسماهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) القاسطين وأشرنا نحن بقولنا سماهم رسول الله القاسطين الى قوله: «ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين» وهذا الخبر من دلائل نبوته صلوات الله عليه لأنه إخبار صريح بالغيب لا يحتمل التمويه والتدليس كما تحتمله الأخبار المجملة الى أن يقول:

وأما أصحاب صفين فإيهم عند أصحابنا مخلدون في النار لفسقهم فصح فيهم قوله تعالى: (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) .

### الدعوة الى البيعة والطاعة

بعد وقعة الجمل رجع أمير المؤمنين الى الكوفة وأرسل عدة كتب ورسائل الى معاوية يدعوه بها الى الطاعة والبيعة لكن معاوية أبى واستكبر وطغى وتجبر واستنفر أهل الشام ودعاهم الى نفسه والى الطلب بدم عثمان وأرسل الكتب بذلك يذكر فيها مظلومية عثمان وانه صاحب ثأره ودمه.

فكان ممّا أجاب به أمير المؤمنين كما في شرح النهج: ج ٣، ص ٧٦: «قد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله فأما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن، ولعمري لنن نظرت بعقلك دون هواك لتجدي أبرأ قريش من دم عثمان.

واعلم إنك من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد أرسلت إليك والى من قبلك

جرير بن عبدالله البجلي وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايع ولا قوة إلا بالله».

فلما قرأ معاوية الكتاب قال لجرير بن عبدالله: انظر وتنظر واستطلع رأي أهل الشام.

فمضت أيام فأمر معاوية منادياً ينادي: الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر فخطب فيهم الى أن قال:

أيها الناس قد علمتم أنني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان عليكم وأني لم أقم رجلاً منكم على خراية قط وأني ولي عثمان وقد قتل مظلوماً والله تعالى يقول: (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا نوليه سلطاناً) وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان.

فقام أهل الشام بأجمعهم فأجابوا الى الطلب بدم عثمان وباعوه على ذلك وأوثقوا له على أن يبذلوا بين يديه أموالهم وأنفسهم حتى يدركوا بثأره أو تلتحق أرواحهم بالله<sup>(٨٤)</sup>.

### شراء الدين والضمان

وذهبت بمعاوية أفكاره كلّ مذهب وطول جريراً بالجواب عن الكتاب حتى كُلم قوماً من أهل الشام في الطلب بدم عثمان فأجابوه ووثقوا له وأحبّ الزيادة في الاستظهار فاستشار أخاه عتبة بن أبي سفيان فقال له: استعن بعمر بن العاص فإنه من قد علمت في دهائه ورأيه وقد اعتزل عثمان في حياته وهو لأمرك أشد اعتزلاً إلا أن يثمن له دينه فسيتبعك فإنه صاحب دنيا<sup>(٨٥)</sup>.

فلما سمع معاوية قول عتبة أرسل الى عمرو فأعطاه مصر فقال عمرو: لي الله عليك بذلك شاهد، قال: نعم لك الله عليّ بذلك أن فتح الله علينا الكوفة فقال عمرو: والله على ما نقول وكيل.

فخرج عمرو من عنده فقال له ابناه: ما صنعت؟ قال: أعطانا مصر طعمة، قالوا: وما مصر في ملك العرب؟!

قال: لا أشبع الله بطونكما إن لم تشبعكما مصر.

وكتب معاوية له بمصر كتابه وكتب: «على أن لا ينقض شرط طاعة» فكتب عمرو «على أن لا تنقض طاعة شرطاً» فكأيد كل واحد منهما صاحبه<sup>(٨٦)</sup>.

(٨٤) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ٣، ص ٧٨، والعقد الفريد: ٨٠/٥، والكامل: ٢٧٦/٣.

(٨٥) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٦١/٢، والطبري: ١٦١/٤ و ٩٨/٥، والمسعودي: ٢٦٣/٢، والكامل: ٢٧٦/٣.

(٨٦) شرح النهج: ٦٧/٢، والعقد: ٩٢/٥.

فلما كتب الكتاب قال معاوية لعمره: ماترى في علي؟ قال: إنه قد أتاك في طلب البيعة خير أهل العراق ومن عند خير الناس في أنفس الناس ودعواك أهل الشام الى ردّ هذه البيعة خطر شديد ورأس أهل الشام شرحبيل بين السمط الكندي وهو عدو لجريير المرسل إليك. فابعت إليه ووطن له ثقافتك فليفشوا في الناس أنّ علياً قتل عثمان وليكونوا أهل رضا عند شرحبيل فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحبّ وإن تعلقت بقلب شرحبيل لم تخرج منه بشيء أبداً.

فكتب الى شرحبيل أن جرير بن عبدالله قدم علينا من عند علي بن أبي طالب بأمر مفضع فأقدم<sup>(٨٧)</sup>.

فلما قدم شرحبيل على معاوية أمر الناس أن يتلقوه ويعظموه فلما دخل على معاوية تكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا شرحبيل إن جرير بن عبدالله قدم علينا يدعونا الى بيعة عليّ وعليّ خير الناس لولا أنّه قتل عثمان بن عفان وقد حبست نفسي عليك وإمّا أنا رجل من أهل الشام أرضى ما رضوا وأكره ما كرهوا.

فقال شرحبيل: أخرج فانظر فلقية هؤلاء النفر الموطئون له فكلمهم أخبره أن علياً قتل عثمان فرجع مغضباً الى معاوية فقال: يا معاوية أباي الناس إلا أن علياً قتل عثمان والله إن بايعت له لنخرجك من شامنا أو لنقتلك.

فقال معاوية: ما كنت لأخالف عليكم، ما أنا إلا رجل من أهل الشام قال: فردّ هذا الرجل الى صاحبه إذن.

فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق وأن الشام كله مع شرحبيل<sup>(٨٨)</sup>.

فلما بايع معاوية أهل الشام بعد أن ذاقهم قال: يا جرير إحق بصاحبك وكتب إليه بالحرب وكتب في أسفل الكتاب شعر كعب ابن جُعيل:

أرى الشام تكره أهل العراق \*\*\* وأهل العراق لهم كارهونا<sup>(٨٩)</sup>

### قميص عثمان

(٨٧) شرح النهج : ٧١ / ٢ .

(٨٨) شرح النهج : ٧٣ / ٢ .

(٨٩) شرح النهج لابن أبي الحديد : ٨٧ / ٣ .



يقول الطبري: وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضباً بدمه، وبأصابع نائلة زوجته مقطوعة بالبراجم، إصبعان منها وشيء من الكف واصبعان مقطوعتان من أصولهما ونصف الإبهام، وضع معاوية القميص على المنبر وكتب بالخبر الى الأجناد وثاب إليه الناس وبكوا سنة وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه، وآلى الرجال من أهل الشام إلا يأتوا النساء ولا يمسهن الماء للغسل إلا من احتلام ولا يناموا على الفراش حتى يقتلوا قتلة عثمان، فمكثوا حول القميص سنة.

والقميص يوضع كل يوم على المنبر ويجلله أحياناً فيلبسه وعلق في أردانه أصابع نائلة<sup>(٩٠)</sup>.

وقال نصر: فلما نزل عليّ (عليه السلام) النخيلة متوجهاً الى الشام وبلغ معاوية خبره وهو يومئذ بدمشق قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان مخضباً بالدم وحول المنبر سبعون ألف شيخ يكون حوله لا تجفّ دموعهم على عثمان، خطبهم وقال:

يا أهل الشام قد كنتم تكذبونني في عليّ وقد استبان لكم أمره، والله ما قتل خليفتم غيره وهو أمر بقتله وألب الناس عليه وأوى قتلته وهم جنده وأنصاره وأعوانه وقد خرج بهم قاصداً بلادكم ودياركم لإبادتكم.

يا أهل الشام الله الله في دم عثمان فأنا وليّه وأحقّ من طلب بدمه وقد جعل الله لولي المقتول ظلماً سلطاناً فانصروا خليفتم المظلوم فقد صنع القوم به ما تعلمون، قتلوه ظلماً وبغيّاً وقد أمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية حتى تفيء الى أمر الله، ثم نزل.

قال نصر: فأعطوه الطاعة وانقادوا له، وجمع إليه أطرافه واستعدّ للقاء عليّ (عليه السلام)<sup>(٩١)</sup>.

\* \* \*

وسار أمير المؤمنين (عليه السلام) لحرب معاوية وحرصّ الناس على ذلك وقصده في مائة من البدريين كما في وقعة صفين لنصر ابن مزاحم ص ٢٣٨ وثمانمائة من أهل بيعة

(٩٠) الطبري: ٥٦٢/٤، والكامل: ٢٠٣/٣ / ٢٧٧، والسيرة الحلبية:

٢٨٦/٣.

(٩١) شرح النهج: ١٩٦/٣، وكتاب صفين: ١٤٣.

الرضوان من بايع رسول الله تحت الشجرة كما في الإصابة لابن حجر واستشهد كثير منهم مع أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) .

### ويل للمطّفين

إذا كان الله سبحانه وتعالى توعد من بخس الناس أشياءهم المادية التافهة من طعام وشراب وغيرهما من الأمور الدانية الدنيوية فياترى كيف حال من بخسهم في الأمور الشريفة العالية وتركهم في حيرة وضلال على مرّ الدهور والأجيال.

فقبل كلّ شيء لابد أن نعرف شيئاً قليلاً مختصراً عن قادة الفئة الباغية القاسطين؛ لأنّه في الوقوف والتعرف عليهم يزول الشك والإرتياب ويعرف مع من الحقّ والصواب.

ولأنّه لا يمكن أن نعدّ التاريخ فترة زمنية انفصلت وتصرّمت فهو شيء منفصل عن حاضر الإنسان ومستقبله، ولذلك ترى القرآن أو الله الذي خلق الإنسان والزمان والأكوان يذكر ما جرى على آدم وبنيه قابيل وهابيل وغيرهم من أولياء الله أو أعداء الله من أنبياء ورسول وفراعنة وطغاة وما جرى في الأمم السابقة لها أو عليها لأنه يرى أن التاريخ يشكل عاملاً مهماً في بناء حياة الإنسان معاشاً ومعاداً حاضراً ومستقبلاً.

ونخصّ التاريخ الإسلامي بالنسبة لنا لأنّه ترتّب عليه مسألة الإيمان والكفر وعاقبة الإنسان من جنة ونار لأن دراسة التاريخ سبب لمعرفة الحقّ من الباطل والصدق من الكذب والصحيح من السقيم.

فكثير من عقائد الإنسان سواء في أصول دينه أم فروعها تتوقف على دراسة التاريخ، فإذاً التاريخ جزء لا ينفصل عن حياة الإنسان ومن الواضح أن التاريخ منتزع من الحدث والحدث صنعه الرجال فبالتالي يكون الحديث عنهم ولا فرق في ذلك بين المحسن والمسيء وسواء في ذلك الصحابي وغيره فلا تغني الصحبة ولا تكون عصمة وكذلك القرابة والزوجية والبنوة، أسوتنا وقدوتنا في ذلك هو القرآن، ففي نوح (عليه السلام) يقول سبحانه: (ونادى نوح ربّه فقال ربّ إنّ ابني من أهلي وإنّ وعدك الحقّ وأنت أحكم الحاكمين\* قال يا نوح إنّه ليس من أهلك أنّه عمل غير صالح)<sup>(٩٢)</sup> وقال سبحانه وتعالى في شأن أمّهات المؤمنين امرأة نوح وامرأة لوط (عليهما السلام): (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين) .

وفي القرابة يقول سبحانه: (تبت يدا أبي لهب وتب) .

أما ما قيل أو يقال أنه لا بد أن نغضّ النظر عن أولئك نفر الذين عاشوا وعاشوا وصحبوا النبيّ (صلى الله عليه وآله) ولا يعلم النوايا إلا الله ولعلمهم تابوا أو أنهم اجتهدوا وكلّ إنسان معرض للخطأ، وأن الراوي يقول أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم أهتديتم. فهذا كلام ظاهره أنيق لا يصمد أمام التحقيق بل لا يرتضيه حتى الصديق، والواقع الخارجي بخلافه تماماً فكثير منهم كان مصدر ضلال وفساد وفتنة وعناد ومن اقتدى بهم أخلّوه دار البوار والدمار ولم يجتن إلا العار والشنار وغضب الجبار. وكلمة قرأتها أثارت تأسفي وحزني تمدح البخس والتطيف وإنه عمل شريف واستحسن هكذا تأليف.

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١٧٥ بعد أن نقل كلام ابن سعد منذ أن بويع لعليّ (عليه السلام) بالخلافة إلى أن هوى في محرابه مخضّباً بدمه ولخص كل ذلك في أقل من صفحتين قال:

هذا كله كلام ابن سعد، وقد أحسن في تلخيصه هذه الوقائع ولم يوسع فيها الكلام كما صنع غيره لأنّ هذا هو اللائق بهذا المقام. وعلل ذلك بقول الراوي: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا» وقوله: «بحسب أصحابي القتل». أقول: لا أدري هل الكاتب يكتب لنفسه ولبعض الرجال أم يكتب للأمة والتاريخ والأجيال.

أما قادة الفئة الباغية القاسطين فمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص .

#### معاوية

أحببت أن أنزع اليراع والقلم عن ذكر ترجمة هذا الصنم إذ أنّ تاريخه أشدّ سواداً من الفحم، لكن رأيت من أثنى عليه وقدّسه، وحاول عاجزاً أن يغسل رجزه ودينسه فعاد يعقر بالتراب يديه لما لمسّه، فما كان يخطر على البال، أن طاغوتاً على تلك الحال يمدحه اعورٌ دجال.

وإذا بي أقرأ كلمات، تثني عليه في الحياة والممات، فرأيت أن أترجم له كما ذكر أهل السير، إذ أنّ في تركها شرٌّ بل ضرر.

ترعرع ونشأ في بيت أبيه صخر بن حرب أبي سفيان الذي قاد قريشاً في حروبها ضد

الإسلام.

وورث من أبيه صفاته وأخلاقه الرذيلة فقد كان أبو سفيان ولوعاً بالتنقل بين بيوت الزواني حتى ضرب به المثل فقيل أزنى من صخر<sup>(٩٣)</sup> .

أمّا الأمّ فهند آكلة الأكباد وهي مثل أبي سفيان يقول ابن أبي الحديد في ج ١، ص ٣٣٦: وكانت هند تذكر في مكة بفجور وعُهر.

وقال الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار: كان معاوية يُعزى الى أربعة، الى مسافر بن أبي عمر والى عمارة بن الوليد بن المغيرة، والى العباس والى الصباح مغنّ كان لعمارة بن الوليد.

وقالوا أن عتبة بن أبي سفيان من الصباح أيضاً وإن هنداً كرهت أن تدعه في منزلها فخرجت الى أجياد فوضعت هناك وفي هذا المعنى يقول حسّان أيام المهاجاة بين المسلمين والمشركين في حياة رسول الله(صلى الله عليه وآله) قبل عام الفتح:

لمن الصبي بجانب البطحا \*\*\* في الترب ملقى غير ذي مهد  
نجلت به بيضاء أنسه \*\*\* من عبد شمس صلته الخد<sup>(٩٤)</sup>

ومن كتاب لزياد بن أبيه يجيب معاوية عن تعبيره إياه بأمه سمية يقول: وأمّا تعبيرك لي بسمية فإن كنت ابن سمية فأنت ابن جماعة<sup>(٩٥)</sup> .

أقول : إن الإسلام يجبّ عما قبله بل حتى الاستسلام الشكلي الظاهري لكن هم الذين كشفوا عن عوراتهم ببغضهم ولعنهم وسبهم وشتيمهم وحروبهم لعليّ وأبناء عليّ وشيعة عليّ، فهم لا يكثرثون بما قيل ويقال فيهم إذا سلمت دنياهم.

#### عداؤه وبغضه للنبي(صلى الله عليه وآله)

روى الزبير بن بكار في الموفقيات وهو غير متهم على معاوية ولا منسوب الى اعتقاد الشيعة لما هو معلوم من حاله من مجانبة عليّ(عليه السلام) والانحراف عنه، قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي على معاوية وكان أبي يأتيه، فيتحدث معه، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه.

(٩٣) الاستيعاب: ٢٠١، وشرح النهج: ١٦/١٨٠، والعقد الفريد: ٥/٢٦٧، والكامل: ٣/٤٤٤.

(٩٤) ربيع الأبرار: ٤/٢٧٦.

(٩٥) شرح النهج: ١٦/١٨٣.

إنجاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيته مغتماً فانتظرت ساعة وظننت أنه لأمر حدث فينا.

فقلت: مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: انك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين فلو اظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت ولو نظرت الى إخوانك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه وان ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه.

فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل أبوبكر.

ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل عمر:

وأن ابن أبي كبشة ليصاح به كلّ يوم خمس مرات: «أشهد أنّ محمداً رسول الله» فأى عمل يبقى وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبأ لك لا والله إلا دفناً دفناً<sup>(٩٦)</sup>.

وذكر الحفاظ محاورة جرت بين معاوية وبين أمد بن أمد الحضرمي أحد المعمرين قال له معاوية: رأيت هاشماً؟

قال: نعم والله طوالاً حسن الوجه يقال إن بين عينيه بركة.

قال فهل رأيت أمية؟ قال: نعم رأيت رجلاً قصيراً أعمى يقال إن في وجهه شراً أو شوماً.

قال: أفرأيت محمداً قال ومن محمد قال: رسول الله قال: أفلا فحمت كما فحّمه الله فقلت:

رسول الله<sup>(٩٧)</sup>.

#### همّة الإمرة والرئاسة

روى الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد، قال: صلى بنا معاوية بالنخيلة

الجمعة ثم خطبنا فقال: والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا أنكم

لتفعلون ذلك

وإنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم

كارهون<sup>(٩٨)</sup>.

(٩٦) شرح ابن أبي الحديد: ١٢٩/٥، ومروج الذهب: ٤١٤/٤.

(٩٧) تاريخ ابن عساکر: ١٠٣/٣، أسد الغابة: ١١٥/١.

(٩٨) شرح النهج: ٤٦/١٦، وطبقات ابن سعد: ٤٨٨/٨، وأبوالفرج في المقاتل: ٤٥.

### اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِهَوًى وَلِعِباً

انَّ عمرو بن لعاص أوفد الى معاوية ومعه أهل مصر فقال لهم عمرو: انظروا إذا دخلتم على ابن هند فلا تسلّموا عليه بالخلافة فإنّه أعظم لكم في عينه وصغروه ما استطعتم. فلما قدموا عليه قال معاوية: لحجّابه إني أعرف ابن النابغة وقد صغّر أمري عند القوم فانظروا إذا دخل الوفد فتعتوهم أشدّ تعتة تقدرون عليها فلا يبلغني رجل منهم إلا وقد همّته نفسه بالتلف.

فكان أوّل من دخل عليه رجل من أهل مصر يقال له ابن الخياط فدخل وقد تعتع فقال: السلام عليك يا رسول الله فتابعه القوم على ذلك فلما خرجوا قال لهم عمرو: لعنكم الله نهيتكم أن تسلّموا عليه بالإمارة فسلمتم عليه بالنبوة<sup>(٩٩)</sup>.

### نصره حيث كان النصر له

روى البلاذري قال: لما أرسل عثمان الى معاوية يستمدّه، بعث يزيد بن أسد القسري جدّ خالد بن عبدالله بن يزيد أمير العراق، وقال له: إذا رأيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها ولا تقلّ الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فإنّي أنا الشاهد وأنت الغائب قال: فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان. فاستقدمه حينئذ معاوية فعاد الى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه وإثما صنع معاوية ذلك ليقتل عثمان فيدعو الى نفسه<sup>(١٠٠)</sup>.

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠٠ قال: واخرج عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الصحابي أنّه دخل على معاوية فقال له معاوية:

ألست من قتلة عثمان؟ قال: لا ولكيّ ممّن حضره فلم ينصره، قال: وما منعك من نصره قال: لم تنصره المهاجرون والأنصار فقال معاوية: أما لقد كان حقّه واجباً عليهم إنّ ينصروه. قال: فما منعك يا أمير المؤمنين من نصره ومعك أهل الشام. فقال معاوية: أما طلبتي بدمه نصره له؟ فضحك أبو الطفيل ثم قال: أنت وعثمان كما قال الشاعر:

لا أفيئك بعد الموت تندبني \*\*\* وفي حياتي ما زودتني زادا<sup>(١٠١)</sup>

(٩٩) الطبري: ٣٣٠/٥، والكامل: ١١/٤.

(١٠٠) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٥٤/١٦، وفي الطبري: ٣٦٨/٤، والكامل: ١٧٠/٣ يقرب منه.

(١٠١) العقد الفريد: ١١٥/٤، والمسعودي: ٢٥/٣.

### ضئيل محتقر

أتى وائل بن حجر النبي (صلى الله عليه وآله) فأقطعه أرضاً، وأمر معاوية أن يمضي معه فيريه الأرض ويعرضها عليه ويكتبها له.  
فخرج مع وائل في هاجرة شافية، ومشى خلف ناقته فأحرقته الرمضاء فقال: أردفني قال: لست من أرداف الملوك.  
قال: فادفع إليّ نعليك. قال: ما بخل يمنعني يا بن أبي سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقبال اليمن أنك لبست نعلي.  
ولكن امشي في ظلّ ناقتي فحسبك بذلك شرفاً<sup>(١٠٢)</sup>.

### عمرو بن العاص

فقد شابه معاوية شَبهاً كبيراً حتى من جهة الأب والأم.  
فأبوه العاص بن وائل أحد المستهزئين برسول الله (صلى الله عليه وآله) والمكاشفين له بالعداوة والأذى وفيه وفي أمثاله وأصحابه أنزل قوله تعالى: (إنا كفيناك المستهزئين) ويلقب العاص بن وائل في الإسلام بالأبتر لأنه قال لقريش: سيموت هذا الأبتر غداً ويعني بذلك النبي (صلى الله عليه وآله) فينقطع ذكره لأنه لم يكن له (صلى الله عليه وآله) ولد ذكر يُعقب منه فأنزل الله سبحانه: (إنّ شأنك هو الأبتر).  
وأما أمّه التي تلقب بالنابغة واسمها ليلي أو سلمى يقول الزمخشري في ربيع الأبرار: كانت النابغة أمّ عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة فسيبت فأشترها عبدالله بن جدعان التيمي بمكة فكانت بغياً ثم أعتقها فوقع عليها أبولهب بن عبدالمطلب وأمّية بن خلف الجمحي وهشام بن المغيرة المخزومي وأبوسفيان بن حرب والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد.  
فولدت عمراً فادّعاه كلهم فحكمت أمّه فيه فقالت: هو من العاص بن وائل وذلك لأنّ العاص كان ينفق عليها كثيراً<sup>(١٠٣)</sup>.

قالوا: وكان أشبه بأبي سفيان وفي ذلك يقول أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب في عمرو بن العاص:

أبوك أبو سفيان لاشكّ قد بدت لنا \*\*\* فيك منه بيّنات الشمال  
ففاخر به أما فخرت ولا تكن \*\*\* تفاخر بالعاص الهجين بن وائل<sup>(١٠٤)</sup>

(١٠٢) شرح النهج: ٣٥٣/١٩، والبيهقي في المحاسن والمساوي: ٢٠١، والسيرة الحلبية: ٩٠/٣، وربيعة الأبرار: ١٧٥/٤، وتاريخ المدينة: ٥٧٩/٢.

(١٠٣) المحاسن والمساوي: ٧٥ و٧٠.

وروي عن أبي عبيدة مثل ذلك في كتاب الأنساب، أن عمراً اختصم فيه يوم ولادته رجلاً: أبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل.

فقيل لتحكم أمّه فقالت أمّه: إبه من العاص بن وائل، فقال أبو سفيان: أما إبي لا أشكّ أني وضعته في رحم أمّه فأبت إلا العاص.

فقيل لها أبو سفيان أشرف نسباً فقالت: إن العاص بن وائل كثير النفقة عليّ وأبو سفيان شحيح<sup>(١٠٥)</sup>.

والى هذا يشير ما ذكره ابن الأثير في الكامل في قضية التحكيم حيث أرسل عليّ عليه السلام) شريح بن هانئ الحارثي وأوصاه بأن يوعظ ويحذر عمرو بن العاص من عاقبة أمره. فلما بلغه تغير وجهه ثم قال: متى كنت أقبل مشورة عليّ أو أنتهي الى أمره أو اعتد برأيه.

فقال له: وما يمنعك يابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبيهم مشورته؟ فقد كان من هو خير منك أبوبكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه.

فقال له: إن مثلي لا يكلم مثلك. فقال شريح: بأي أبويك ترغب عني يابن النابغة؟ أبأيك الوشيظ أم بأمك النابغة<sup>(١٠٦)</sup><sup>(١٠٧)</sup>.

### عمرو بن العاص مع عثمان

فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به، فقال:

يابن النابغة ما أسرع ما قمل جربان جبتك! إنما عهدك بالعمل عاماً أول أنتعن عليّ وتأتيني بوجه وتذهب عني بآخر والله لولا أكلة ما فعلت ذلك... قال والكلام للواقدي:

فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه يأتي علياً مرة فيؤلّبه على عثمان ويأتي الزبير مرة فيؤلّبه على عثمان ويأتي طلحة مرة فيؤلّبه على عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان.

(١٠٤) شرح النهج: ٢٨٢/٦ - ٢٨٣ - وربع الأبرار: ٢٧٥/٤، والمحاسن والمساوي للبيهقي: ٧٠ - ٧٥.

(١٠٥) شرح النهج: ٢٨٥/٦.

(١٠٦) ومن أراد الاطلاع على أكثر من ذلك فليرجع الى ج ٢ من الغدير: ١٢٢، فإنه ذكر عدّة مصادر، وفي الطبري: ٣٣٣٥/١ قول عليّ: ٥٤/٥. وهل تشبه إلا أمك التي وضعت بك.

(١٠٧) شرح النهج: ٢٥٤/٢، وتاريخ الطبري: ٧٠/٥، والكامل: ٣٢٩/٥، والعقد: ٩٦/٤، وفي التبيان للجاحظ أبيات في أمّه: ٥٤٣/٣.



فلما كان حصر عثمان الأول خرج من المدينة حتى انتهى الى أرض له بفلسطين يقال لها السبع فنزل في قصر له يقال له العجلان وهو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عقان. قال: بينا هو جالس في قصره ذلك ومعه ابناه محمد وعبدالله وسلامة بن روح الجذامي إذ مرّ بهم راكب فناداه عمرو: من أين قدم الرجل؟ فقال: من المدينة. قال: ما فعل الرجل؟ يعني عثمان. قال: تركته محصوراً شديداً الحصار. قال عمرو: أنا أبو عبدالله، قد يضطر العير والمكواة في النار، فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مرّ به راكب آخر فناداه عمرو: ما فعل الرجل - يعني عثمان - قال: قُتل. قال: أنا أبو عبدالله إذا حككت قرحة نكأتها.

إن كنت لأحرّض عليه حتى إني لأحرّض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل<sup>(١٠٨)</sup>. خطب عثمان يوماً فصاح به عمرو بن العاص: اتق الله يا عثمان فإنك قد ركبت أموراً وركبناها معك، فتب الى الله نتب. فناداه عثمان وإبك هاهنا يابن النابغة قملت جبتك منذ نزعتك عن العمل، فنودي من ناحية أخرى تب الى الله. ونودي من أخرى مثل ذلك. فرفع يديه الى السماء وقال: اللهم اني أول التائبين ثم نزل<sup>(١٠٩)</sup>.

### ما ينطق عن الهوى

عن النبي (صلى الله عليه وآله): «إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص جميعاً ففرقوا بينهما»<sup>(١١٠)</sup>. وفي هذا الكتاب من كنز العمال حديث ٣١٧٢٠ عن يعلى بن شداد بن أوس عن أبيه انه دخل على معاوية وهو جالس وعمرو ابن العاص على فراشه فجلس شداد بينهما قوال: هل تدريان ما يجلسني بينكما؟ لأني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «إذا رأيتموهما جميعاً ففرقوا بينهما»<sup>(١١١)</sup>.

وفي مفاخرة بين الحسن بن علي (عليهما السلام) ورجال من قريش رواها الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات فقال الحسن (عليه السلام): وأما أنت يابن العاص فإن أمرك مشترك وضعتك أمك مجهولاً من عهر وسفاح فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزاها الأهم حسباً واخبثهم منصباً ثم قام أبوك فقال: أنا شاني محمد الأبتّر فأنزل الله فيه ما أنزل.

(١٠٨) الطبري: ٣٥٧/٤، وتاريخ المدينة لابن شبة: ١٠٨٩/٣.

(١٠٩) شرح النهج: ١٤٣/٢، وتاريخ الطبري: ٣٦٠/٤.

(١١٠) كنز العمال: كتاب الفتن: ٨٦/١١ حديث ٣١٢٠١، والعقد الفريد: ٩٣/٥.

(١١١) رواه ابن عبد ربّه في العقد الفريد: ج ٢، ص ٢٩٠ وفي كتاب صفين: ص ١١٢.

وقاتلت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في جميع المشاهد وهجوته وأذيته بمكة وكدته كيدك كله وكنت من أشد الناس له تكذيباً وعداوة ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجعفر وأصحابه الى أهل مكة فلما أخطأك ما رجوت ورجعك الله خائباً وأكذبك وأشيأ جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد فوشيت به الى النجاشي حسداً لما ارتكب مع حليتك ففضحك الله وفضح صاحبك.

فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام. ثم ائتك تعلم وكل هولاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسبعين بيتاً من الشعر فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «اللهم اتي لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهم ألغنه بكل حرف ألف لعنة» فعليك إذاً من الله ما لا يحصى من اللعن.

وأما ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعرت عليه الدنيا ناراً، ثم لحقت بفلسطين فلما أتاك قتله، قلت: أنا أبو عبدالله إذا نكأت قرحة أدميتها.

ثم حبست نفسك عن معاوية وبعث دينك بدنياه فلسنا نلومك على بغض، ولا نعاتبك على ودّ، وبالله ما نصرت عثمان حيّاً ولا غضبت له مقتولاً<sup>(١١٢)</sup>.

#### بطل بعورته يقاتل

تعرض عمرو بن العاص لعليّ (عليه السلام) يوماً من أيام صفين، وظنّ أنه يطمع منه في غرة فيصيبه فحمل عليه عليّ (عليه السلام)، فلما كاد أن يخالطه أنزى نفسه عن فرسه، ورفع ثوبه وشعر برجله فبدت عورته. فصرف (عليه السلام) وجهه عنه وقام معقراً بالتراب هارباً على رجليه معتصماً بصفوفه فقال أهل العراق: يا أمير المؤمنين أفلت الرجل! فقال: أتدرون من هو؟ قالوا: لا. قال: فإته عمرو بن العاص، تلقاني بسوءته فصرفت وجهي عنه.

ورجع عمرو الى معاوية، فقال: ما صنعت يا أبا عبدالله؟ فقال: لقيني عليّ فصرعني، قال: أحمد الله وعورتك، والله إني لأظنك لو عرفته لما أقحمت عليه، وقال معاوية في ذلك:

ألا لله من هفوات عمرو \*\*\* يعاتبني على تركي برازي  
فقد لاقى أبا حسن عليّاً \*\*\* فأب الوائلي مآب خازي  
فلو لم يبد عورته لطارت \*\*\* بمهجته قوادم أي بازي  
فإن تكن المنية أخطأته \*\*\* فقد غنى بها أهل الحجاز  
فغضب عمرو وقال: ما أشدّ تعظيمك عليّاً في أمري! هل أنا إلا رجل لقيه ابن عمّه  
فصرعه أفترى السماء قاطرة لذلك دماً؟ قال: لا ولكنها معقبة لك خزيّاً<sup>(١١٣)</sup>.

(١١٢) شرح النج لابن أبي الحديد: ج ٦/٢٩١.

(١١٣) المصادر لهذه البطولة كثيرة فمن أراد الاطلاع فليراجع، الغدير:

## أبو موسى الأشعري

هو عبدالله بن قيس وأمه امرأة من عك أسلمت وماتت بالمدينة واختلف في أنه هل هو من مهاجرة الحبشة أم لا؟ والصحيح أنه ليس منهم، ولكنه أسلم ثم رجع الى بلاد قومه، فلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريين على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فوافق قدومهم قدوم أهل السفينتين جعفر ابن أبي طالب وأصحابه من أرض الحبشة.

فوافقوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بخيبر فظنّ قوم أن أبا موسى قدم من الحبشة مع جعفر. وولاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) من مخاليف اليمن زبيد، وولاه عمر البصرة لما عزل المغيرة عنها، فلم يزل عليها الى صدر من خلافة عثمان فعزله عثمان عنها، فنزل أبو موسى الكوفة حينئذ وسكنها فلما كره أهل الكوفة سعيد بن العاص ودفعوه عنها، ولوا أبا موسى وكتبوا الى عثمان يسألونه ان يولييه فأقره على الكوفة.

فلما قتل عثمان عزله عليّ (عليه السلام) فلم يزل واجداً لذلك على عليّ (عليه السلام) حتى جاء منه ما قال حذيفة فيه، فقد روى حذيفة فيه كلاماً كرهت ذكره والله يغفر له<sup>(١٤)</sup>.

قال ابن أبي الحديد بعد نقله لهذا الكلام: قلت: انّ الكلام الذي أشار إليه أبو عمر ابن عبدالبر ولم يذكره هو قول حذيفة في أبي موسى وقد ذكره عنده بالدين:

أما أنتم فتقولون ذلك، وأما أنا فاشهد أنه عدوّ الله ولرسوله، وحرب لهما في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

وكان حذيفة عارفاً بالمنافقين، أسرّ إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمرهم واعلمه أسمائهم وروى أن عماراً سئل عن أبي موسى فقال: لقد سمعت فيه من حذيفة قولاً عظيماً، سمعته يقول: صاحب البرنس الأسود، ثم كلح كلوحاً علمت منه أنه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط.

وروي عن سويد بن غفلة، قال: كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمان، فروى لي خبراً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال سمعته يقول: «إن بني إسرائيل اختلفوا، فلم يزل الاختلاف بينهم، حتى بعثوا حكمين ضالين وأضلاً من اتبعهما ولا ينفك أمر أمّتي حتى يبعثوا حكمين يضلان ويضلان من تبعهما».

فقلت له: احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما! قال: فخلع قميصه، وقال: أبرأ الى الله من ذلك كما أبرأ من قميصي هذا<sup>(١٥)</sup>.

(١٤) الاستيعاب: ٣٨٠، ٦٥٨ باختصار.

(١٥) رواه المسعودي في مروج الذهب: ٤٠٣/٢، وكنز العمال: ١/١٢١/١٩٥، وابن مردويه في المناقب: ١٦٨، وشرح نهج البلاغة: ٣١٥/١٣.

أقول: إن قول صاحب الاستيعاب; فقد روى حذيفة فيه كلاماً كرهت ذكره، إن كانت هذه الكراهة من باب الورع والتقوى فحذيفة أهل أن يكره ذلك ومن قبله رسول الله حيث علمه وأسرّ إليه ما أسرّ إلا أن يقول صاحب الاستيعاب أنا اتقى وأورع منهما وأتحرّج من ذكر ما ذكراه!

إلا أن الظاهر أن هذه الكراهة أو النفرة هي من النوع الذي أشار إليها نفس حذيفة ففي كنز العمال عن حذيفة أنه قيل له: إن عثمان قد قُتل فما تأمرنا؟ قال: الزموا عمّاراً. قيل: إن عمّار لا يفارق عليّاً! قال: إن الحسد أهل للجسد وائمًا ينقركم من عمّار قربه من علي، فوالله لعليّ أفضل من عمّار أبعد ما بين التراب والسحاب، وإن عمّاراً من الأخيار<sup>(١١٦)</sup>.

فيا حذيفة إنّما كرهوا كلامك ونفروا منه لقربك من عليّ وانتقاصك من عاداه وانحرف عنه.

أبو موسى يثبّط الناس عن نصرة عليّ (عليه السلام)

كتب عليّ (عليه السلام) الى أهل الكوفة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد فإني اخترتكم والنزول بين أظهركم لما أعرف من مودّتكم وحبّكم لله عزّ وجلّ ورسوله (صلى الله عليه وآله) فمن جاءني ونصرني فقد أجاب الحقّ وقضى الذي عليّ». فجاء الناس الى أبي موسى يستشيرونه في الخروج، فقال أبو موسى: أمّا سبيل الآخرة فأن تقيموا، وأمّا سبيل الدنيا فأن تخرجوا، وأنتم أعلم وبلغ المحمّدين قول أبي موسى، فبايناه وأغلظا له.

فقال: أمّا والله إنّ بيعة عثمان في عنقي وعُنق صاحبكما الذي أرسلكما إن أردنا أن نقاتل لا نقاتل حتى لا يبقى أحد من قتلة عثمان إلا قُتل حيث كان<sup>(١١٧)</sup>.

فأمّا رواية محمد بن إسحاق فإنّه قال: لما قدم محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر الكوفة، استتفرا الناس، فدخل قوم منهم على أبي موسى ليلاً، فقالوا له: أشير علينا برأيك في الخروج مع هذين الرجلين الى عليّ (عليه السلام).

فقال: أمّا سبيل الآخرة فالزموا بيوتكم، وأمّا سبيل الدنيا فاشخصوا معهما.

(١١٦) فضائل الصحابة: حديث ٣٧٣٨٢.

(١١٧) الطبري: ٣١٣٩/١، والكامل: ٢٧٧/٣.

فمنع بذلك أهل الكوفة من الخروج، وبلغ ذلك المحمّدين، فأغلظا لأبي موسى فقال أبو موسى: والله إنّ بيعة عثمان لفي عنق عليّ وعنقي وأعناقكما، ولو أردنا قتالاً ما كنّا لنبدأ بأحد قبل قتل عثمان<sup>(١١٨)</sup>.

### النبيّ يخصّه بالقعود

وأقبل الحسن(عليه السلام) على أبي موسى، فقال: يا أبا موسى لم تثبّط الناس عنّا! فوالله ما أردنا إلا الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء.

فقال: صدقت بأبي أنت وأمي ولكن المستشار مؤتمن، سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: «إنّها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب...».

فغضب عمار وساءه وقام وقال: يا أيّها الناس إنّما قال له خاصة: أنت فيها قاعداً خير منك قائماً<sup>(١١٩)</sup>.

وفي كنز العمال عن أبي مريم قال: سمعت عمّار بن ياسر يقول: يا أبا موسى أنشدك الله ألم تسمع رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»؟ وأنا سائلك عن حديث فإن صدقت وإلا بعثت عليك من أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله) من يقررك به.

أنشدك الله أليس عناك رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنت نفسك؟ فقال: «إنّها ستكون فتنة بين أمّتي يا أبا موسى أنت فيها نائماً خيراً منك قاعداً، وقاعداً خير منك قائماً، وقائماً خير منك ماشياً»؟ فخصّك رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولم يعمّ الناس، فخرج أبو موسى ولم يردّ عليه شيئاً<sup>(١٢٠)</sup>.

وقال أبو مخنف: فلما سمع أبو موسى خطبة الحسن وعمار قام فصعد المنبر، وقال: ... الى أن يقول: أما بعد يا أهل الكوفة، إن تطيعوا الله باديّاً، وتطيعوني ثانياً، تكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوي إليكم المضطّرّ ويأمن فيكم الخائف.

إنّ علياً إنّما يستنفركم لجهاد أمكم عائشة وطلحة والزبير حوارى رسول الله ومن معهم من المسلمين، وأنا أعلم بهذه الفتن إنّها إذا أقبلت شبّهت ...

وكأنّي أسمع رسول الله(صلى الله عليه وآله) بالأمس يذكر الفتن، فيقول: «أنت فيها نائماً خير منك قاعداً، وأنت فيها جالساً خير منك قائماً، وأنت فيها قائماً خير منك ساعياً».

(١١٨) شرح النهج: ٩ / ١٤.

(١١٩) الطبري: ٣١٤٧/١.

(١٢٠) كنز العمال: حديث ٣١٤٩٥، كتاب الفتن والأهواء، قسم الأفعال.

فقام إليه عمار بن ياسر، فقال: أنت سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول ذلك! قال: نعم هذه يدي بما قلت، فقال: إن كنت صادقاً فأباً عنك وحدك واتخذ عليك الحجّة، فالتزم بيئتكم ولا تدخلن في الفتنة أما إني أشهد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر علياً بقتال الناكثين، وسمى له فيهم من سمى، وأمره بقتال القاسطين، وإن شئت لأقيمّن لك شهوداً يشهدون أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنّما نهاك وحدك وحدرك من الدخول في الفتنة<sup>(١٢١)</sup>.

### غلبه الغش

إنّ عبد خير الخيواني (الخيراني) قام الى أبي موسى فقال: يا أبا موسى، هل كان هذان الرجلان - يعني طلحة والزبير - ممّن بايع عليّاً؟ قال: نعم، قال: هل أحدث حدثاً يحلّ به نقض بيعته؟

قال: لا أدري، قال لا دريت، إنّنا تاركوك حتى تدري.

يا أبا موسى! هل تعلم أحداً خارجاً من هذه الفتنة التي تزعم أنها هي فتنة انما بقي أربع فرق عليّ بظهر الكوفة، وطلحة والزبير بالبصرة ومعوية بالشام، وفرقة أخرى بالحجاز لا يجبي بها فيء ولا يقاتل بها عدوّ فقال له أبو موسى: أولئك خير الناس، فقال له عبد خير: يا أبا موسى غلب عليك غشك<sup>(١٢٢)</sup>.

وأقبل الأشتر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس في المسجد الأعظم، فجعل لا يمرّ بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم ويقول: اتبعوني الى القصر، فانتهى الى القصر في جماعة من الناس فاقتحم القصر فدخله وأبوموسى قائم في المسجد يخطب الناس ويتبّطهم.

يقول: أيها الناس، إنّ هذه فتنة عمياء صمّاء تطأ خطامها، النائم فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، والساعي فيها خير من الراكب...

وعمار يخاطبه والحسن (عليه السلام) يقول له: اعتزل عملنا لا أمّ لك وتتحّ عن منبرنا، وقال له عمار: أنت سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

فقال أبو موسى: هذه يدي بما قلت، قال له عمار: غلب الله من غالبه وجاحده<sup>(١٢٣)</sup>. ونقل الطبري عن نصر بن مزاحم بسنده الى أبي مريم الثقفي قال: والله إني لفي المسجد يوماً وعمار يخاطب أبا موسى ويقول له ذلك القول إذ خرج علينا غلمان لأبي موسى

(١٢١) شرح النهج: ١٥/١٤.

(١٢٢) الكامل: ٢٢٩/٣، والنهج: ٢٠/١٤، والطبري: ٣١٥٢/١.

(١٢٣) الطبري: ٣١٥٣/١، وابن أبي الحديد: ٢١/١٤.

يشتدون وينادون يا أبا موسى، هذا الأشر قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا، فنزل أبو موسى ودخل القصر، فصاح به الأشر أخرج من قصرنا لا أم لك أخرج الله نفسك، فوالله إنك لمن المنافقين قديماً، قال: أجلي هذه العشيّة، فقال: هي لك ولا تبيتنّ في القصر الليلة<sup>(١٢٤)</sup>.

أقول: ان ابن الأثير في كتابه الذي سمّاه بالكامل اقتلع وابتلع قول الأشر لأبي موسى: «فوالله إنك لمن المنافقين قديماً».

لأنه يدرك جيداً ماذا تعني هذه الكلمة، فإنها تعني ما كان يتكلّم به حذيفة بن اليمان كما أسلفنا.

الأشعري في كلام عليّ (عليه السلام)

ألا إنّ هذين الرجلين اخترتموهما حكيمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما أحيا ما أمات القرآن وأماتا ما أحيا القرآن واتبع كلّ واحد منهما هواه بغير هدىً من الله، فحكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يرشد، فبريء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين<sup>(١٢٥)</sup>.

وروى أبو مخنف، قال: وبعث عليّ عبدالله بن عباس ومحمد بن أبي بكر الى أبي موسى وكتب معهما:

من عبدالله علي أمير المؤمنين الى عبدالله بن قيس، أما بعد يا بن الحانك، يا عاض أير أبيه، فوالله اني كنت لا أرى أن بُعدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلاً ولا جعل لك فيه نصيباً، سيمنعك من ردّ أمري والانتزاع عليّ وقد بعثت إليك ابن عباس وابن أبي بكر فخلهما والمصر وأهله واعتزل عملنا مذعوماً مدحوراً فإن فعلت وإلا فإني قد أمرتهما أن يناداك على سواء إنّ الله لا يهدي كيد الخائنين، فإذا ظهرا عليك قطعك إرباً إرباً<sup>(١٢٦)</sup>.

قال نصر فكان عليّ (عليه السلام) بعد الحكومة إذا صلّى الغداة والمغرب، وفرغ من الصلاة قال: اللهمّ العن معاوية وعمراً وأبا موسى...<sup>(١٢٧)</sup>.

## ورث البغض لا عن كلاله

(١٢٤) الطبري: ٣١٥٤/١، وابن أبي الحديد: ٢١/١٤.

(١٢٥) الطبري: ٣٣٦٨/١، وشرح النهج: ٢/٢٥٩، وابن الأثير: ٣/٣٣٨، ومروج الذهب: ٤١٣/٢.

(١٢٦) شرح النهج: ١٠/١٤، والطبري: ٥٠٠/٤.

(١٢٧) شرح النهج: ٢/٢٦٠.

يقول ابن أبي الحديد: ومن المبغضين القالين أبو بُردة بن أبي موسى الأشعري، ورث البغضة له لا عن كلاله. أي ورثها عن أبيه.

وقد روى عبدالرحمن المسعودي عن ابن عياش المنتوف قال: رأيت أبا بردة قال لأبي العادية الجهني قاتل عمّار بن ياسر: أنت قتلت عمّار بن ياسر قال: نعم قال: ناولني يدك فقبّلها. وقال: لا تمسّك النار أبداً<sup>(١٢٨)</sup>.

### قدم الشيخ لأوليه

يقول الطبري: حدثني أحمد، عن علي، عن جويرية بن أسماء، قال: قدم أبو موسى علي معاوية، فدخل عليه في بُرنس أسود، فقال: السلام عليك يا أمين الله قال: وعليك السلام، فلما خرج قال معاوية قدم الشيخ لأوليه، ولا والله لا أوليه<sup>(١٢٩)</sup>.

قال: وحدثني عبدالله بن أحمد، قال: حدثني أبو صالح سليمان ابن صالح قال: حدثني عبدالله بن المبارك، عن سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن أبي بردة قال: دخلت على معاوية حيث أصابته قرحته، فقال: هلمّ يا ابن أخي نحوي فانظر، فنظرت فإذا هي قد سُبرت، فقلت: ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين فدخل يزيد فقال معاوية: إنّ وليت من أمر الناس شيئاً فاستوص بهذا فإنّ أباه كان لي خليلاً أو نحو ذلك من القول غير أنني رأيت في القتال ما لم يره<sup>(١٣٠)</sup>.

### تشابهت قلوبهم

ثم لا يخفى على القارئ الفطن والمنتبّع الرزن وجود التشابه بين هؤلاء الثلاثة أعني ابن هند وابن النابغة والأشعري.

فالقلوب متشابهة والآراء متقاربة، فمما اجتمعوا عليه قديماً وحديثاً بغضهم لعليّ ورفعهم لقميص عثمان زاعمين أنّهم يطلبون بدمه ليثبّطوا ويفرقوا الناس عن عليّ (عليه السلام). فمن الخطأ والغباء والسذاجة أن يقال: إنّ أبا موسى خُدع أو أنه رجل مغفل فالرجل مارس المهمة الصعبة التي أنيطت به من قبل الحركة أو التنظيم ولعب دوراً قد أعد له من قبل، وكما قال ابنه أبو بردة فيه:

أنا ابن مشتت الإسلام \*\*\* لما صيّر الحكما

(١٢٨) شرح النهج: ٩٩/٤.

(١٢٩) الطبري: ج ٥، ص ٣٣٢، والكامل: ١٢/٤.

(١٣٠) الطبري: ٣٣٢/٥، وابن سعد: ٣٧٥/٤.



أزلّ عن الورى علما \*\*\* وأنصب للورى صنما  
ولم يُخدع كما زعموا \*\*\* ولكن كان متهما<sup>(١٣١)</sup>

### من أخبار عليّ في طريقه الى صفين

قال نصر: حدثنا عبدالعزيز بن سياه بن حبيب عن أبي ثابت قال: حدثنا أبو سعيد التميمي المعروف بعقيصا قال:

كنا مع عليّ (عليه السلام) في مسيره الى الشام، حتى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد، عطش الناس واحتاجوا الى الماء.

فأطلق بنا عليّ (عليه السلام) حتى أتى بنا الى صخرة ضرس في الأرض كأنها ربضة عنز فأمرنا فاقتلعناها فخرج لنا من تحتها ماء فشرب الناس منه وارتووا ثم أمرنا فأكفأناها عليه.

وسار الناس حتى إذا مضى قليلاً قال (عليه السلام): أمنكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فانتظروا إليه، فانطلق منا رجال ركباناً ومشاة، فاقتصصنا الطريق إليه حتى انتهينا الى المكان الذي نرى أنه فيه فطلبناه فلم نقدر على شيء حتى إذا عيل علينا انطلقنا الى دير قريب منا فسألناهم: أين هذا الماء الذي عندكم؟

قالوا: ليس قربنا ماء، فقلنا: بلى، إنّنا شربنا منه. قالوا: أنتم شربتم منه! قلنا: نعم، فقال صاحب الدير: والله ما بُني هذا الدير إلا لذلك الماء وما استخرجه إلا نبي أو وصي نبي<sup>(١٣٢)</sup>.

### الراهب الشهيد

قال نصر: حدثنا عمر بن سعد عن مسلم الملائي عن حبة العرني قال: لما نزل عليّ الرقة نزل بموضع يقال له البليخ<sup>(١٣٣)</sup> على جانب الفرات فنزل راهب هناك من صومعته، فقال لعليّ (عليه السلام):

إنّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا، كتبه أصحاب عيسى بن مريم، أعرضه عليك قال: نعم فقرأ الراهب الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى وسطر فيما سطر، أنه باعث في الأميين رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويدلهم على سبيل الله لا فظاً ولا غليظاً ولا صحّاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح. أمته الحمادون الذين يحمدون الله على

(١٣١) هذه الأبيات الثلاثة في كتاب الصراط المستقيم: ج ٣، ص ١٧٧.

(١٣٢) شرح النهج: ٢٠٤/٣، وصفين: ص ١٤٥.

(١٣٣) البليخ: اسم نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون.. ويتشعب من ذلك الموضع أنهار تسقي بساتين وقرى ثم تصب في الفرات تحت الرقة بميل. معجم البلدان.

كل نشز<sup>(١٣٤)</sup> وفي كل صعود وهبوط تذل ألسنتهم بالتكبير والتهليل والتسبيح وينصره الله على كل من ناواه فإذا توفاه الله اختلفت أمته من بعده ثم اجتمعت فلبثت ما شاء الله ثم اختلفت فيمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحق ولا يركس في الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح والموت أهون عليه من شرب الماء على الضمان يخاف الله في السرّ وينصح له في العلانية لا يخاف في الله لومة لائم فمن أدرك ذلك النبي من أهل هذه البلاد فأمن به كان ثوابه رضوانى والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة ثم قال له: أنا مصاحبك، فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك. فبكى (عليه السلام) ثم قال: الحمد لله الذي لم أكن عنده منسياً، الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار.

فمضى الراهب معه، فكان فيما ذكروا يتغدى مع أمير المؤمنين ويتعشى حتى أصيب يوم صفين.

فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال (عليه السلام): اطلبوه، فلما وجدوه صلى عليه ودفنه وقال: هذا من أهل البيت. واستغفر الله له مراراً<sup>(١٣٥)</sup>.

### الخلق الكريم

روى نصر: أن عمرو بن العاص قال لمعاوية لما ملك أهل العراق الماء: ما ظنك يا معاوية بالقوم إن منعوك اليوم الماء كما منعهم أمس أتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه! ما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة.

فقال له معاوية: دع عنك ما مضى فما ظنك بعلي؟ قال: ظني أنه لا يستحلّ منك ما استحللت منه وأن الذي جاء له غير الماء.

قال نصر: فقال أصحاب علي (عليه السلام) له: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك فقال: لا خلوا بينهم وبينه، لا أفعل ما فعله الجاهلون سنعرض عليهم كتاب الله وندعوهم الى الهدى فإن أجابوا، وإلا ففي حدّ السيف ما يغني إن شاء الله.

قال: فوالله ما أمسى الناس حتى رووا سقاهم وسقاة أهل الشام ورواياهم وروايا أهل الشام يزدهمن على الماء ما يؤدي إنساناً<sup>(١٣٦)</sup>.

### علي مع القرآن

(١٣٤) النشز: المكان المرتفع، كالنشاز.

(١٣٥) شرح النهج: ٢٠٥/٣ و٢٠٦، والمعيار والموازنة: ١٣٤، ومناقب الخوارزمي: ٢٤٢، وكتاب صفين: ١٤٧.

(١٣٦) شرح النهج: ٣٣١/٣ باختصار، والطبري: ٥٧٢/٤، والمسعودي: ٣٨٦/٢، وابن الأثير: ٢٨٤/٣.

ثم إن علياً (عليه السلام) دعا أصحابه إلى أن يذهب واحد منهم بمصحف كان في يده إلى أهل الشام، فقال: من يذهب إليهم فيدعوهم إلى ما في هذا المصحف فسكت الناس وأقبل فتى اسمه سعيد فقال: أنا صاحبه. فأعاد القول ثانية، فسكت الناس، وتقدم الفتى فقال: أنا صاحبه. فسلمه إليه فقبضه بيده ثم أتاهم فناشدهم الله ودعاهم إلى ما فيه فقتلوه فقال علي (عليه السلام) لعبد الله بن بديل: احمل عليهم الآن (١٣٧).

### الإعلام المضلل والدعاية الممقوتة

إن هاشم بن عتبة المرقال مضى في عصابة معه من القراء فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه عند المساء، فإتاهم لذلك إذ خرج عليهم فتى شاب وهو يقول:  
أنا ابن أرباب الملوك غسان \*\*\* والدائن اليوم بدين عثمان  
إني أتاني خبر فأشجان \*\*\* أن علياً قتل ابن عقان  
ثم يشتد فلا ينثني حتى يضرب بسيفه، ثم يشتم ويلعن ويكثر الكلام، فقال له هاشم بن عتبة: يا عبدالله، إن هذا الكلام بعده الخصام وإن هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فإنك راجع إلى الله فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به، قال:  
فإني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلي كما ذكر لي وأنتم لا تصلون أيضاً وأقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم أردتموه على قتله.  
فقال له هاشم: وما أنت وابن عقان! إنما قتله أصحاب محمد وأبناء أصحابه وقراء الناس حين أحدث الأحداث وخالف حكم الكتاب وهم أهل الدين وأولى بالنظر في أمور الناس منك ومن أصحابك، وما أظن أمر هذه الأمة وأمر هذا الدين أهمل طرفة عين.  
فقال له: أجل، والله لا أكذب فإن الكذب يضر ولا ينفع، فقال له هاشم: إن أهل هذا الأمر أعلم به فخله وأهل العلم به.

قال: ما أظنك والله إلا نصحت لي فقال هاشم: وأما قولك إن صاحبنا لا يصلي فهو أول من صلى مع رسول الله وأفقه خلق الله في دين الله وأولى بالرسول.  
وأما كل من ترى معي فكلهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجداً، فلا يغوينك عن دينك هؤلاء الأشقياء المغرورون.

فقال الفتى: يا عبدالله، إني أظنك امرئ صالحاً فتخبرني، هل تجد لي من توبة؟ فقال: نعم يا عبدالله، تب إلى الله يتب عليك فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويحب

المتطهرين فحشر والله الفتى الناس راجعاً، فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي.  
قال: لا ولكن نصح لي<sup>(١٣٨)</sup>.

### البدر يحفه البديون

قام سعيد بن قيس يخطب أصحابه بقناصرين<sup>(١٣٩)</sup> فقال بعد الحمد والثناء: وقد اختصنا  
الله منه بنعمة فلا نستطيع أداء شكرها، ولا نقدر قدرها.

إن أصحاب محمد المصطفين الأخيار معنا وفي حيزنا فوالله الذي هو بالعباد بصير، أن  
لو كان قائدنا حبشياً مجدّاً إلا أن معنا من البدريين سبعين رجلاً لكان ينبغي لنا أن تحسن  
بصائرنا وتطيب أنفسنا.

فكيف وإنما رئيسنا ابن عمّ نبينا بدريّ صدق صلى صغيراً وجاهد مع نبيكم كبيراً.  
ومعاوية طليق من وثاق الأسارى وابن طليق إلا أنه اغوى جفاة فأوردتهم النار وأورثهم  
العار والله محلّ بهم الذل والصغار<sup>(١٤٠)</sup>.

قال نصر: وقام الأشرى يخطب الناس بقناصرين فبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال:  
ثم كان ممّا قضى الله سبحانه وقدّر أن ساقنتنا المقادير الى أهل البلدة من الأرض فلفت  
بيننا وبين عدوّ الله وعدوّنا، فنحن بحمد الله ونعمه ومثّه وفضله قريرة أعيننا طيبة أنفسنا  
نرجو بقتالهم حسن الثواب والأمن من العقاب.

معنا ابن عمّ نبينا وسيف من سيوف الله عليّ بن أبي طالب صلى مع رسول الله(صلى الله  
عليه وآله) لم يسبقه الى الصلاة ذكر حتى كان شيخاً لم تكن له صبوة ولا نبوة ولا هفوة ولا  
سقطّة، فقيه في دين الله تعالى، عالم بحدود الله، ذو رأي أصيل وصبر جميل وعفاف قديم،  
فاتقوا الله وعليكم بالحزم والجد واعلموا أنّكم على الحقّ وأن القوم على الباطل يقاتلون مع  
معاوية.

وأنتم مع البدريين قريب من مائة بدري، سوى من حولكم من أصحاب محمّد، أكثر ما  
معكم رايات قد كانت مع رسول الله، ومع معاوية رايات قد كانت مع المشركين على رسول  
الله.

فما يشك في قتال هؤلاء إلا ميّت القلب، أنتم على إحدى الحسينيين إما الفتح وإمّا  
الشهادة<sup>(١٤١)</sup>.

(١٣٨) الطبري: ٣٣٢٤/١، والكامل: ٣١٣/٣.

(١٣٩) قناصرين: موضع بالشام.

(١٤٠) صفين: ٢٣٦، وشرح النهج: ١٨٩/٥.

(١٤١) شرح النهج: ١٩١/٥، وكتاب صفين: ٢٣٨، وانظر الى مروج الذهب: ٣٦١/٢.

مع ابن هند من لا سابقة له

إن معاوية دعا النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري وسلمة بن مخد الأنصاري ولم يكن معه من الأنصار غيرهما.

ثم إن معاوية سأل النعمان أن يخرج الى قيس فيعاتبه ويسأله السلم فخرج النعمان فوقف بين الصفيين ونادى: يا قيس بن سعد... .

وتكلم حول مقتل عثمان وهذه عادة كل من خالف وعادى علياً يومذاك فضحك قيس وقال: ما كنت أظنك يا نعمان محتويًا على هذه المقالة: إنه لا ينصح أخاه من غش نفسه وأنت الغاش الضالّ المضلّ أما ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذ مئي واحدة، قتل عثمان من لست خيراً منه، وخذله من هو خير منك. وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث. وأما معاوية فوالله لو اجتمعت عليه العرب قاطبة لقاتلته الأنصار وأما قولك: إنا لسنا كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله نتقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون.

ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقاً أو أعرابياً أو يمانياً مستدرجاً بغرور. انظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ثم انظر هل ترى مع معاوية أنصارياً غيرك وغير صويحك، ولستما والله ببدريين ولا عقبيين ولا أحديين ولا لكما سابقة في الإسلام ولا آية في القرآن<sup>(١٤٢)</sup>.

#### الاستبصار على يديّ عمّار

روى نصر بإسناده عن اسماء بن حكيم الفزاري قال: كنا بصفيين مع عليّ بن أبي طالب تحت راية عمّار بن ياسر، ارتفاع الضحى استظللنا ببرد أحمر إذ أقبل رجل يستقري الصف حتى انتهى إلينا فقال: أيكم عمّار بن ياسر، فقال عمار بن ياسر: أنا عمار، قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم قال: إن لي إليك حاجة فانطق بها علانية أو سرّاً قال اختر لنفسك أي ذلك شئت. قال: لا بل علانية قال: فانطق قال: إني خرجت من أهلي مستبصراً في الحق الذي نحن عليه، لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطل.

فلم أزل على ذلك مستبصراً حتى كان ليلتي هذه صباح يومنا هذا، فتقدّم منادينا فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونادى بالصلاة فنادى مناديهم بمثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة فصلينا صلاة واحدة ودعونا دعوة واحدة وتلونا كتاباً واحداً ورسولنا واحد.

فادركني الشك في ليلتي هذه فبت بليلة لا يعلمها إلا الله حتى أصبحت فأنتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال: هل لقيت عمّار ابن ياسر؟ قلت: لا قال: فألقه فانظر مايقول لك عمّار فاتبعه، فجئتك لذلك.

قال له عمّار: هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة لي فإنها راية عمرو بن العاص قاتلتها مع رسول الله(صلى الله عليه وآله) ثلاث مرات، وهذه الرابعة ماهي بخيرهنّ ولا أبرهنّ بل هي شرهنّ وأفجرهنّ<sup>(١٤٣)</sup>.

أشهدت بدرأً وأحدأً وحنيناً أو شهدها أب لك فيخبرك عنها.

قال: لا، قال: فإن مراكزنا اليوم على مراكز رايات رسول الله(صلى الله عليه وآله)يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين، وإنّ مراكز رايات هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب. هل ترى هذا المعسكر ومن فيه؟ فوالله لو ددت أن جميع من أقبل مع معاوية ممن يريد قتالنا مفارقاً للذي نحن عليه كانوا خلقاً واحداً فقطعته وذبحته.

والله لدمائهم جميعاً أحلّ من دم عصفور، أفترى دم عصور حراماً؟ قال: لا بل حلال. قال: فإنهم كذلك حلال دماؤهم أتراني بيّنت لك؟ قال: قد بيّنت لي. قال: فاختر أي ذلك أحببت.

فانصرف الرجل ثم دعاه عمّار فقال: أما انهم سيضربونكم بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولوا: لو لم يكونوا على حقّ ما أظهروا علينا، والله ما هم من الحقّ على ما يقضى عين دُباب والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ وأنهم على باطل<sup>(١٤٤)</sup>.

سمّهم بما سماهم الله

روى نصر بإسناده عن الأصبغ بن نباتة قال: جاء رجل الى علي(عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء القوم الذين نقاتلهم، الدعوة واحدة والرسول واحد والصلاة واحدة والحجّ واحد فماذا نسّمّهم؟ قال: سمّهم بما سماهم الله في كتابه قال: ما كلّ في كتاب الله أعلمه، قال: أما سمعت الله تعالى يقول: (تلك الرّسل فضلنا بعضهم على بعض الى قوله:...) ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر) فلما وقع الاختلاف، كنّا نحن أولى بالله وبالكتاب وبالنبيّ وبالحقّ، فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا، وشاء الله قتالهم فقاتلهم بمشيئته وإرادته<sup>(١٤٥)</sup>.

(١٤٣) الطبري: ٣٣١٩/١.

(١٤٤) الطبري: ٣٣١٧/١، وابن الأثير: ٣/٣٠٩، صفين: ٣٢١، وشرح النهج:

٢٥٧/٥.

(١٤٥) شرح النهج: ٢٥٨/٥، وكتاب صفين: ٣٢٢، والكامل: ٣٠٨/٢.

## صدق النبي المختار في حق عمّار

إنّ كثيراً من الصحابة شهدوا صفين مع عليّ أمير المؤمنين فمن البدرين ما يقرب من مائة ومن أهل بيعة الرضوان ثمانمائة قُتل منهم ثلاثة وستون منهم عمّار بن ياسر.

لكن شاع وذاع وظهر واشتهر اسم عمّار من بين أولئك الصحابة وذلك لما علّم من أقوال النبيّ في حقّه كقوله: «يا عمّار تقتلك الفئة الباغية» وغيره من أحاديثه (صلى الله عليه وآله).

والحكمة في ذلك معلومة لأنّ نبيّ الرحمة والرأفة لا يترك الأمة في حيرة واضطراب في مثل هذه الفتن فلا بدّ من إتمام الحجّة والبيان كما قال سبحانه وتعالى في حقّه (صلى الله عليه وآله): (عزيز عليه ما عنتم حريصّ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (١٤٦).

فالنبيّ (صلى الله عليه وآله) جعل من عمّار بلاغاً وبيناً وحجّة ودليلاً.

فعلى هذا ليس وجود عمّار الى جنب أمير المؤمنين هو وجود مقاتل فحسب بل هو وجود داع ومبلغ ودليل يدعو أهل الحقّ الى نصره حقهم ويحذر أهل الباطل من مغبة الاستمرار على باطلهم فعمّار بمفرده يعادل جيشاً عظيماً.

قال صاحب الاستيعاب: وأسلم عمّار وعبدالله أخوه وياسر أبوهما وسميّة أمهما، وكان إسلامهم قديماً في أوّل الإسلام فعذبوا في الله عذاباً شديداً، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمرّ بهم وهم يعذبون فيقول: «صبراً يا آل ياسر فإنّ موعدكم الجنة».

فأمّا سميّة فقتلها أبوجهل، طعنها بحربة فماتت، وكانت من الخيرات الفاضلات وهي أوّل شهيدة في الإسلام.

قال أبو عمر: كان عمّار بن ياسر ممّن عدّب في الله ثم أعطاهم ما أرادوا بلسانه واطمأنّ الإيمان بقلبه، فنزل فيه: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) (١٤٧)، وهذا ممّا أجمع أهل التفسير.

وهاجر الى أرض الحبشة، وصلى الى القبلتين وهو من المهاجرين الأوّلين، ثم شهد بدرأ والمشاهد كلّها وأبلى بلاءاً حسناً، ثم شهد اليمامة فأبلى فيها أيضاً يومئذ وقطعت أذنه.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنّ عمّاراً ملئ إيماناً الى مشاشه» ويروى الى أخمص قدميه.

وعن عائشة، أنها قالت: ما من أحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أشاء أن أقول

فيه إلا قلت، إلا عمّار بن ياسر فأبلى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «إنّه ملئ إيماناً الى

أخص قدميه».

(١٤٦) التوبة: ١٢٨.

(١٤٧) النحل: ١٠٦.

قال أبو عمر: وقال عبدالرحمن بن أبزي: شهدنا مع عليّ (عليه السلام) صفين ثمانمائة ممن بايع بيعة الرضوان، قُتل مئاً ثلاثة وستون منهم عمّار بن ياسر.

قال أبو عمر: ومن حديث عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): «إن عمّاراً جاء يستأذن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً، فعرف صوته فقال: «مرحباً بالطيّب المطيّب» يعني عمّاراً أئذنوا له. قال أبو عمر: ومن حديث أنس عن النبي (صلى الله عليه وآله): «اشتأقت الجنة إلى أربعة: علي وعمر وسلمان وبلال»<sup>(١٤٨)</sup>.

قال أبو عمر: وفضائل عمّار كثيرة جداً يطول ذكرها. قال: وروى الأعمش عن أبي عبدالرحمن السلمي، قال شهدنا مع عليّ (عليه السلام) صفين، فرأيت عمّار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) يتبعونه، كأنه علم لهم.

قال: وقد قال أبو مسعود البدري وطائفة لحذيفة حين احتضر وقد ذكر الفتنة: إذا اختلف الناس فبمن تأمرنا؟ قال: عليكم بابن سميّة فإنه لن يفارق الحقّ حتى يموت أو قال: فإنه يزول مع الحقّ حيث زال.

قال أبو عمر: وقد روى وكيع عن شعبة عن عبد بن مرّة عن عبدالله بن سلمة قال: لكانني أنظر إلى عمّار يوم صفين وهو صريع فاستسقى فأتي بشربة من لبن فشرب، فقال: اليوم ألقى الأحبة.

إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهد إليّ أن آخر شربة أشربها في الدنيا شربة من لبن، ثم استسقى ثانية فأنته امرأة طويلة اليدين بإناء فيه ضياح من لبن فقال حين شربه: الحمد لله الجنة تحت الأسنّة والله لو ضربونا يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحقّ وأنهم على الباطل ثم قاتل حتى قتل.

قال أبو عمر: وتواترت الأخبار عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «تقتل عمّار الفنة الباغية» وهذا من إخباره بالغيب، وأعلام نبوّته (صلى الله عليه وآله) وهو من أصحّ الأحاديث<sup>(١٤٩)</sup>. وروى أبو مخنف، أن عمّار بن ياسر خرج إلى الناس، فقال: اللهم إني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لعلته، اللهم إني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبّة سيفي في صدري ثم أنحني عليها حتى تخرج من ظهري لعلت. وإني لا أعلم اليوم عملاً هو أَرْضَى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين.

(١٤٨) شرح نهج البلاغة: ١٠٤/١٠.

(١٤٩) الاستيعاب المطبوع بهامش الإصابة: ٤٧٨/٢.



وروي عن حبة العرني قال: انطلقت أنا وأبو مسعود الى حذيفة بالمدائن فدخلنا عليه، فقال: مرحباً بكم، ما خلفتما من قبائل العرب أحداً أحب إليّ منكما فأسندته الى أبي مسعود، فقلنا: يا أبا عبدالله حدثنا فإننا نخاف الفتن.

فقال: عليكما بالفتنة التي فيها ابن سميّة، التي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «تقتله الفنة الباغية الناكبة عن الطريق، وإن آخر رزقه ضياح من لبن».

قال حبة: فشهدته يوم صفين وهو يقول: أنتوني بأخر رزق لي من الدنيا فأتي بضياح من لبن في قدح أروح له حلقة حمراء فما أخطأ حذيفة مقياس شعره، فقال: اليوم ألقى الأحبة \*\*\* محمّداً وحزبه<sup>(١٥٠)</sup>

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص لأبيه: يا أبت قتلتهم هذا الرجل في يومكم هذا، وقد قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما قال! قال: وما قال؟ قال: ألم تكن معنا ونحن نبنى المسجد والناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وعمّار ينقل حجرتين ولبنتين فغشي عليه، فأناه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: «ويحك يابن سميّة، الناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وأنت تنقل حجرتين ولبنتين لبنتين رغبة منك في الأجر وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفنة الباغية».

فدفع عمرو صدر فرسه، ثم جذب معاوية إليه، فقال: يامعاوية! أما تسمع ما يقول عبدالله! قال: وماذا يقول؟ فأخبره الخبر فقال معاوية: إنك شيخ أخرج ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض في بولك! أو نحن قتلنا عمّاراً إنما قتل عمّار من جاء به<sup>(١٥١)</sup>.

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: وأعجابه من قوم يعترهم الشك في أمرهم لمكان عمّار ولا يعترهم الشك لمكان عليّ (عليه السلام)! ويستدلون على أن الحقّ مع أهل العراق بكون عمّار بين أظهرهم ولا يعبتون بمكان عليّ (عليه السلام)! ويحذرون من قول النبي (صلى الله عليه وآله) «تقتلك الفنة الباغية» ويرتاعون لذلك. ولا يرتاعون لقوله (صلى الله عليه وآله) في عليّ (عليه السلام): «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» ولا لقوله: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق».

وهذا يدلّك على أن عليّاً (عليه السلام) اجتهدت قريش كلها من مبدأ الأمر في إخماد ذكره وستر فضائله، وتغطية خصائصه حتى محي فضله ومرتبته من صدور الناس كافة إلا قليلاً منهم<sup>(١٥٢)</sup>.

ويقول في موضع آخر: ثم أي حاجة لناصري أمير المؤمنين أن يتكثروا بخزيمة وأبي الهيثم وعمّار وغيرهم! لو أنصف الناس هذا الرجل ورأوه بالعين الصحيحة لعلموا أنه لو كان وحده، وحاربه الناس كلهم أجمعون لكان على الحقّ وكانوا على الباطل<sup>(١٥٣)</sup>.

(١٥٠) الطبري: ٣٣١٧/١.

(١٥١) الطبري: ٣٣٢١/١.

(١٥٢) شرح النهج: ١٧/٨.

قال عليّ (عليه السلام) حين قُتلَ عمار: إن إمرئاً من المسلمين لم يعظم عليه قتل ابن ياسر ويدخل عليه المصيبة لغير رشيد.

رحم الله عماراً يوم أسلم ورحم الله عماراً يوم قتل ورحم الله عماراً يوم بيعت حياً، لقد رأيت عماراً وما يذكر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أربعة إلا كان رابعاً ولا خمسة إلا كان خامساً، وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشك أن عماراً قد وجبت له الجنة في غير موطن ولا اثنين فهنيئاً لعمار بالجنة، ولقد قيل: أن عماراً مع الحق والحق معه، يدور عمار مع الحق أينما دار (١٥٤).

وعن عليّ قال: ذكرت للنبي عماراً فقال: أما إنّه سيشهد معك مشاهد أجراها عظيم وذكرها كثير وثناؤها حسن (١٥٥).

### قصة التحكيم

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: إن الذي دعا إليه طلب أهل الشام له، واعتصامهم به من سيوف أهل العراق.

فقد كانت أمارات القهر والغلبة لاحت ودلائل النصر والظفر وضحت، فعدل أهل الشام عن القراع الى الخداع وكان ذلك برأي عمرو بن العاص، وهذه الحال وقعت عقيب ليلة الهرير، وهي الليلة العظيمة التي يضرب بها المثل ونحن نذكر ما أورده نصر بن مزاحم في كتاب صفين في هذا المعنى، فهو ثقة ثبت صحيح النقل غير منسوب الى هوى ولا إدغال وهو من رجال أصحاب الحديث.

قال نصر: حدثنا عمرو بن شمر عن جابر قال: سمعت تميم بن حذيم يقول: لما أصبحنا من ليلة الهرير، نظرنا فإذا أشباه الرايات، أمام أهل الشام في وسط الفيلق حيال موقف معاوية فلما اسفرنا إذ هي المصاحف قد رُبِطت في أطراف الرماح وهي عظام مصاحف العسكر وقد شدوا ثلاثة أرماع جميعاً وربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسه عشرة رهط.

قال نصر: وقال أبو جعفر وأبو الطفيل: استقبلوا علياً بمائة مصحف، ووضعوا في كلّ مجنبة (١٥٦) مائتي مصحف فكان جميعها خمسمائة مصحف.

ثم نادوا: يا معشر العرب الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فقال عليّ (عليه السلام): اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا وبينهم إنك أنت الحكم الحق المبين.

(١٥٣) شرح النهج: ١/١١٠.

(١٥٤) كنز العمال: حديث ٣٧٤٠٨، فضائل الصحابة حرف العين.

(١٥٥) كنز العمال: ٣٣٥٣/٥، ذكر الصحابة وفضلهم.

(١٥٦) المجنبة: ميمنة الجيش وميسرته.

فاختلف أصحاب عليّ (عليه السلام) في الرأي، فطائفة قالت: القتال، وطائفة قالت: المحاكمة الى الكتاب ولا يحلّ لنا الحرب وقد دعينا الى حكم الكتاب، فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها<sup>(١٥٧)</sup>.

وقال عليّ (عليه السلام) : أيها الناس، اني أحقّ من أجب الى كتاب الله ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وابن أبي سرح وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن اني أعرف بهم منكم صحبتهم صغاراً ورجالاً فكانوا شرّ صغار وشرّ كبار ويحكم أنّها كلمة حقّ يراد بها باطل! إنهم ما رفعوها أنهم يعرفونها ويعملون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة.

أعبروني سواعدكم وجماعكم ساعة واحدة فقد بلغ الحقّ مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا. فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفاً مقتعين في الحديد، شاكي السلاح، سيوفهم على عواتقهم وقد اسودّت جباههم من السجود يتقدّمهم مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعد.

فنادوه باسمه لا بإمرة المسلمين: يا عليّ أجب القوم الى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عقان<sup>(١٥٨)</sup>.

قال نصر: وجاء الأشعث بن قيس الى عليّ (عليه السلام)، فقال: يا أمير المؤمنين ما أرى الناس إلا قد رضوا، وسرهم أن يجيبوا القوم الى ما دعوهم إليه من حكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد ونظرت ما الذي يسأل، قال: فأته إن شئت، فأتاه فسأله: يامعاوية! لأي شيء رفعت هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم الى أمر الله به فيها، فابعثوا رجلاً منكم ترضون به، ونبعث منّا رجلاً، ونأخذ عليهما أن يعملما بما في كتاب الله ولا يعدّوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه. فقال الأشعث: هذا هو الحقّ.

وانصرف الى عليّ (عليه السلام) فأخبره فبعث عليّ (عليه السلام) قرّاءً من أهل العراق، وبعث معاوية قرّاءً من أهل الشام فاجتمعوا بين الصّفين، ومعهم المصحف فنظروا فيه وتدارسوا ورجع كلّ فريق الى صاحبه، فقال أهل الشام: إنّنا قد رضينا واخترنا عمرو بن العاص، وقال الأشعث والقرّاء الذين صاروا خوارج فيما بعد: قد رضينا نحن واخترنا أبا موسى الأشعري، فقال لهم عليّ (عليه السلام) : فاني لا أرضى بأبي موسى ولا أرى أن أوليه.

فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكي في عصابة من القرّاء: إنّنا لا نرضى إلا به فإنّه قد كان حدّرتنا ما وقعنا فيه. فقال عليّ (عليه السلام) : فإنّه ليس لي برضا وقد فارقتي وخذل الناس عني، وهرب منّي حتى آمنته بعد أشهر ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك.

(١٥٧) شرح النهج: ٢/٢١٢، وصفين: ٤٧٨.

(١٥٨) شرح النهج: ٢/٢١٦، والطبري: ١/٣٣٣٠، وصفين: ٤٨٩.

قالوا: والله ما نبالي، أكنت أنت أو ابن عباس ولا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء، ليس الى واحد منكما بأدنى من الآخر، قال عليّ(عليه السلام): فإني أجعل الأشر، فقال الأشعث: وهل سَعَر الأرض علينا إلا الأشر وهل نحن إلا في حكم الأشر قال عليّ(عليه السلام): وما حكمه؟ قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيف حتى يكون ما أردت وما أراد(١٥٩).

### وتكرر صلح الحديبية كما قال خير البرية

قال نصر: فلما رضي أهل الشام بعمرو وأهل العراق بأبي موسى، أخذوا في سطر كتاب المودعة، وكانت صورته: «هذا ما تقاضى عليه عليّ أمير المؤمنين ومعاوية ابن أبي سفيان» فقال معاوية ببس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته! وقال عمرو: بل نكتب اسمه واسم أبيه إنما هو أميركم فأما أميرنا فلا. فلما أعيد إليه الكتاب أمر بمحوه.

فقال الأحنف: لا تمح اسم أمير المؤمنين عنك، فإني أتخوف ان محوتها أن لا ترجع إليك أبداً فلا تمحها. فقال عليّ(عليه السلام): إن هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتبت الكتاب عن رسول الله(صلى الله عليه وآله): هذا ما صالح عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو. فقال سهيل: لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك، أني إذا لظالم لك إن منعتك أن تطوف ببيت الله الحرام وأنت رسوله، ولكن اكتب: من محمد بن عبدالله.

فقال لي رسول الله(صلى الله عليه وآله): «يا عليّ إني رسول الله وأنا محمد بن عبدالله ولن يمحو عني الرسالة كتابي لهم من محمد بن عبدالله، فاكتبها وامح ما أراد محوه أما إن لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد(١٦٠).

وروى أبو مخنف: لما كتبت الصحيفة دُعي لها الأشر فقال: لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها شمالي إن خط لي في هذه الصحيفة اسم علي صلح أو مودعة أو لست على بيئة من أمري، ويقين من ضلالة عدوي، أولستم قد رأيتم الظفر لو لم تجمعوا على الخور. فقال له الأشعث بن قيس: والله ما رأيت ظفراً ولا خوراً، هلم إلينا فإنه لا رغبة بك عنا، فقال: بلى والله لرغبة بي عنك في الدنيا للدنيا والآخرة وللآخرة ولقد سفك الله عز وجل بسيفي

(١٥٩) شرح النهج: ٢/٢٢٨، والطبري: ١/٣٣٣، والكامل: ٣/٣١٩.

(١٦٠) شرح النهج: ٢/٢٣٢، والكامل: ٣/٣٢٠، وصفين: ٥٠٨، والطبري: ١/٣٣٥، ومناقب الخوارزمي: ١٩٣.

هذا دماء رجال ما أنت عندي خيرٌ منهم، ولا أحرم دمًا، قال عمار بن ربيعة: فنظرت الى الأشعث فكأثما قصع على أنفه الحمم<sup>(١٦١)</sup>.

وقيل لعليّ(عليه السلام) لما كتبت الصحيفة: إنَّ الأشر لا يقرّ بما في الصحيفة ولا يرى إلا قتال القوم.

قال عليّ(عليه السلام) : وأنا والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا، فإذا أبيتم إلا أن ترضوا فقد رضيت، فإذا رضيت فلا يصحّ الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الإقرار إلا أن يعصى الله عزّ وجلّ ويتعدى كتابه فقاتلوا من ترك أمر الله عزّ وجلّ وأما الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أولئك ولست أخافه على ذلك. يا ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوي ما أرى، إذا لخفت عليّ مؤنتكم، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم<sup>(١٦٢)</sup>.

### مثل الكلب والحمار مسرحية جميلة

روى أبو مخنف ونصر: أن عمراً وأبا موسى حين التقيا بدومة الجندل، أخذ عمرو يقدم أبا موسى في الكلام، يقول: إنك صاحب رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأنت أسنّ مني، فتكلّم وأنكلم.

فكان عمرو قد عود أبا موسى أن يقدمه في كلّ شيء، أراد بذلك كله أن يقدمه فيبدأ بخلع عليّ.

فقال له عمرو: خبرني ما رأيك؟ قال: رأيي أن نخلع هذين الرجلين، ونجعل الأمر شورى بين المسلمين، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبّوا فقال له عمرو: فإن الرأي ما رأيت.

فأقبلا الى الناس وهم مجتمعون، فقال: يا أبا موسى أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع واتفق فتكلّم أبو موسى فقال: إنّ رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله عزّ وجلّ به أمر هذه الأمة. فقال عمرو: صدق وبر يا أبا موسى تقدّم فتكلّم.

فتقدّم أبو موسى ليتكلّم، فقال له ابن عباس: ويحك! والله أني لأظنّه قد خدعك إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك، ثم تكلم أنت بعده فإن عمراً رجل غادر ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه فإذا قمت في الناس خالفك، فقال له: قد اتفقنا.

(١٦١) الطبري: ٣٣٣٨/١، شرح النهج: ٢٣٦/٢، الكامل: ٣٢١/٣ وصفين: ٥١١.

(١٦٢) الطبري: ٣٣٤٤/١، وشرح النهج: ٢٤٠/٢، والكامل: ٣٢١/٣.

فتقدّم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنّنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نرَ أصلح لأمرها ولا ألمّ لشعثها من أمر قد اجتمع رأيي ورأي عمرو عليه، وهو أن نخلع علياً ومعاوية وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولوا من أحبّوا عليهم. وإني قد خلعت علياً ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ثم تنحى. وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه وقال: إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان بن عفان والطالب بدمه وأحقّ الناس بمقامه. فقال أبو موسى: مالك لا وفّقك الله، غدرت وفجرت إنّما مثلك كمثل الكلب (إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث).

قال عمرو: إنّما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا<sup>(١٦٣)</sup>.

صدق النبي (صلى الله عليه وآله)

عن نصر عن أبي عبدالرحمن قال: حدثني العلاء بن يزيد القرشي، عن جعفر بن محمد قال: دخل زيد بن أرقم على معاوية، فإذا عمرو بن العاص جالس معه على السرير، فلما رأى ذلك زيد جاء حتى رمى بنفسه بينهما، فقال له عمرو بن العاص: أما وجدت لك مجلساً إلا أن تقطع بيني وبين أمير المؤمنين؟ فقال زيد: إنّ رسول الله غزا غزوة وأنتم معه، فراكما مجتمعين فنظر إليكما نظراً شديداً، ثم رآكما اليوم الثاني واليوم الثالث فقال: «إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرّقوا بينهما فإنهما لن يجتمعا على خير»<sup>(١٦٤)</sup>.

وبهذا الإيجاز والاختصار، وبعون الملك القهار، نكتفي بما ذكرنا من أخبار، حول الفئة الباغية العاتية، كما نطق النبي جهرًا وعلانية، ممّا جاءت به الآثار الباقية، ثم يأتي الكلام عن الخوارج المارقين، كما سمّاهم سيّد الأنبياء والمرسلين، الذين تلبّسوا بلباس النسك والدين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء العظام وعلى آله الطيبين الكرام والحمد لله رب العالمين على أنعمه الجسام.

(١٦٣) الطبري: ٣٣٥٩/١، وشرح النهج: ٢/٢٥٥، وصفين: ٥٤٥، والكامل: ٣/٣٣٣، والمسعودي: ٢/٤١٠.

(١٦٤) صفين: ٢١٨، والعقد الفريد: ٥/٩٣، وكنز العمال: ١١/٨٦.



## المارقون

سمّاهم بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والأخبار كثيرة متظافرة مستفيضة متواترة، وهي من الدلائل الباهرة.

ونحن نذكر بعضها، يقول (صلى الله عليه وآله) : «أما إنّه ستمرق مارقة يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه حتى يرجع السهم على فوقه، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يحسنون القول ويسينون الفعل، فمن لقيهم فليقاتلهم فمن قتلهم فله أفضل الأجر، ومن قتلوه فله أفضل الشهادة، هم شرّ البرية، برأ الله عزّ وجلّ منهم يقتلهم أولى الطائفتين بالحق»<sup>(١٦٥)</sup>.

ويقول (صلى الله عليه وآله) : «إنّ قوماً من أمّتي أشدّة ذلقة أسنتهم بالقرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يرمق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإنّ المأجور من قتلهم»<sup>(١٦٦)</sup>.

ويقول (صلى الله عليه وآله) : «إنّ فيكم قوماً يعبدون ويدأبون حتى يعجبوا الناس وتعجبهم أنفسهم يمرقون من الدين كما يرمق السهم من الرمية»<sup>(١٦٧)</sup>.

فالناظر المتأمل، بل القارئ المتململ، إذ لحظ تلك الأخبار، أدرك حقيقة هؤلاء الأشرار، وخصوصياتهم ومميزاتهم، فكانوا يمتازون بكثرة العبادة لكنّها قائمة على أساس الجهل فكانوا يعيشون بين إفراط وتفریط.

إفراط في العبادة من صلاة وقراءة قرآن وغيرها وتفریط في التعقل والتدبّر والتفكّر والوعي.

وهذه العبادة الفارغة أورتتهم الغرور والعجب بأنفسهم فكانوا يرون أنفسهم أفضل الناس حتى أفضل من رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما في الخبر الآتي.

فقد أخرج جماعة من أهل السنن والمسانيد من الأئمة وحفظة الآثار واللفظ لأبي يعلى في مسنده - كما في ترجمة ذي الثدية من إصابة ابن حجر - عن أنس قال:

(١٦٥) كنز العمال حديث ٣١٢١٦.

(١٦٦) كنز العمال: حديث ٣١٢٢٦.

(١٦٧) كنز العمال: حديث ٣١٢٢٧.



كان في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجل يعجبنا تعبده واجتهاده وقد ذكرناه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) باسمه فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل علينا، قلنا: هو هذا.

قال: إنكم لتخبروني عن رجل ان في وجهه لسفعة من الشيطان، فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم. فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): انشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني.

قال: اللهم نعم، ثم دخل يصلي فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من يقتل الرجل؟ فقال: أبو بكر: أنا، فدخل عليه فوجده يصلي، فقال: سبحان الله؛ أقتل رجلاً يصلي؟! فخرج فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما فعلت؟

قال: كرهت أن أقتله وهو يصلي وأنت قد نهيت عن قتل المصلين<sup>(١٦٨)</sup>. قال: من يقتل الرجل؟ قال عمر: أنا، فدخل فوجده واضعاً جبهته فقال عمر: أبو بكر أفضل مني فخرج فقال النبي (صلى الله عليه وآله): مهيم؟ قال: وجدته واضعاً جبهته لله فكرهت أن أقتله. فقال: من يقتل الرجل؟ فقال عليّ: أنا. فقال (صلى الله عليه وآله): أنت إن أدركته، فدخل عليه فوجده قد خرج فرجع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: مهيم؟ قال: وجدته قد خرج. قال: لو قتل ما اختلف من أمي رجلان - الحديث.

في مسند أحمد بن حنبل من حديث أبي سعيد الخدري ص ١٥ من جزئه الثالث قال: إن أبا بكر جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله إنني مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجل متخشع

حسن الهيئة يصلي، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): اذهب إليه فاقتله، قال: فذهب إليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحالة كره أن يقتله، فرجع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال فقال النبي (صلى الله عليه وآله) لعمر: اذهب فاقتله، فذهب عمر فرآه على تلك الحالة التي رآه أبو بكر قال: فكره أن يقتله، قال: فرجع فقال: يا رسول الله إنني رأيته يصلي متخشعاً، فكرهت أن أقتله. قال (صلى الله عليه وآله): يا علي اذهب فاقتله، قال: فذهب عليّ فلم يره فرجع عليّ فقال: يا رسول الله إنني لم أره، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه فاقتلوهم هم شرّ البرية.

(١٦٨) إن صاحب هذه القصة أو الرجل الذي أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتله يلقب بذي الثدية أو الخويصرة أو المخدج وصار فيما بعد رأس المارقين وكبيرهم.

هنيئاً لكما أيها الشيخان ما أرأفكما وما أرحمكما وما أرقّ وأشفق قلوبكما فكاد أن يقتل هذا الرجل العابد المصلّي الساجد وتقع السماء على الأرض لولا الاجتهاد مقابل النصّ، فهذه واحدة من فوائد تلك القاعدة حيث دفعت القتل عن رأس المارقين.

### جهل وجدل

إنّ عليّاً لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة، أتاه رجلان من الخوارج: زُرعة بن البرج الطائي وحر قوص بن زهير السعدي التميمي، فدخلا عليه، فقالا له: لا حكم إلا لله فقال عليّ: لا حكم إلا لله، فقال له حر قوص: تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك وارجع بنا الى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربّنا.

فقال لهم عليّ: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطينا عليها عهدونا ومواثيقنا، وقد قال الله عزّ وجل: (وأوفوا بعهدهم إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها...) .

فقال له حر قوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه، فقال عليّ: ما هو ذنب ولكنّه عجز من الرأي وضعف من الفعل وقد تقدّمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه. فقال له زرعة بن البرج: أما والله يا عليّ، لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عزّ وجل قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه.

فقال له عليّ: بؤساً لك ما أشفاك! كأي بك قتيلاً تسفي عليك الريح. قال: وودت أن قد كان ذلك فقال له عليّ: لو كنت محقاً كان في الموت على الحقّ تعزية عن الدنيا، إنّ الشيطان قد استهواكم، فاتقوا الله عزّ وجلّ إنّّه لا خير لكم في دنيا تقاتلون عليها، فخرجوا من عنده يحكمان<sup>(١٦٩)</sup>.

ومن نفس المصدر صفحة ٨٤ قال الخوارج لعليّ (عليه السلام): إنّنا حكّمتنا، فلمّا حكّمتنا أثمنا وكنا بذلك كافرين، وقد ثبتنا فإن ثبتت كما ثبتنا فنحن منك ومعك، وإن أبيت فاعتزلنا فإنّا مُنابذوك على سواء أن الله لا يحب الخائنين.

فقال عليّ (عليه السلام): أصابكم حاصب ولا بقي منكم وابر! أبعث ايماني برسول الله (صلى الله عليه وآله) وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله، أشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت إذأ وما أنا من المهتدين<sup>(١٧٠)</sup>.

### الخلق الكريم حتى مع عدوّه

(١٦٩) الطبري: ٣٣٦١/١، شرح النهج: ٧٢/٥، والكامل: ٣٣٤/٣ .

(١٧٠) الطبري: ٨٥/٤، والكامل: ٣٤٤/٣ .

قام عليّ (عليه السلام) في الناس يخطبهم ذات يوم، فقال رجل من جانب المسجد: لا حكم إلا لله، فقام آخر فقال مثل ذلك، ثم توالى عدّة رجال يحكمون، فقال عليّ: الله أكبر، كلمة حقّ يلتمس بها باطل! أما إنّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا:

لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبتدءونا<sup>(١٧١)</sup>.

أقول: لا يخفى ما في هذا الخلق الكريم من العِظة والعبرة لمن يدّعي أنه من محبّي وشيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) فهل نحن مع من خالفنا الرأي هكذا أم نسارع الى تركه وهجره، وهل لكلمة إنسان أو إنسانية معنى في قاموس حياتنا كما هي عند عليّ (عليه السلام) أم لا.

### شناعة وبشاعة

قال أبو مخنف عن عطاء عن عجلان، عن حميد بن هلال: إنّ الخارجة التي أقبلت من البصرة جاءت حتى دنت من إخوانها بالنهر، فخرجت عصابة منهم، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار، فعبروا إليه فدعوه فتهددوه وأفزعوه، وقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم أهوى الى ثوبه يتناوله من الأرض - وكان سقط عنه لما أفزعوه - .

فقالوا له: أفزعناك؟ قال: نعم، قالوا له: لا روع عليك فحدثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبيّ (صلى الله عليه وآله) لعلّ الله ينفعنا به.

قال: حدثني أبي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنّ فتنة تكون يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسي فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً، ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً». فقالوا: ألهذا الحديث سألناك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيراً، قالوا: ما تقول في عثمان في أوّل خلافته وفي آخرها؟ قال: إنّ كان محقّاً في أوّله وفي آخرها، قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده؟ قال:

أنّه أعلم بالله منكم وأشدّ توقياً على دينه وأنفذ بصيرة. فقالوا: إنّك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً فأخذوه فكتفوه ثم أقبلوا به وبامراته وهي حُبلى مِتم حتى نزلوا تحت نخل موارق فسقطت منه ربطة فأخذها أحدهم فقتلها بها في فمه.

(١٧١) الطبري: ٣٣٦٢/١، وشرح النهج: ٧٣/٥، والكامل: ٣٣٥/٣.

فقال أحدهم: بغير حلها وبغير ثمن! فلفظها من فمه، ثم أخذ سيفه فأخذ يمينه، فمرّ به خنزير لأهل الذمّة فضربه بسيفه. فقالوا: هذا فساد في الأرض فأتي صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره .

فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى فما عليّ منكم بأس، أني مسلم ما أحدثت في الإسلام حدثاً، ولقد آمنتموني إذ قلت: لا روع عليك، فجاءوا به فأضجوه فذبجوه وسال دمه في الماء.

وأقبلوا الى المرأة فقالت: إنّما أنا امرأة ألا تتقون! فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء وقتلوا أمّ سنان الصيداوية.

فبلغ ذلك عليّاً ومن معه من المسلمين من قتلهم عبدالله بن خباب، واعتراضهم الناس فبعث إليهم الحارث بن مرّة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه ولا يكتبه.

فخرج حتى انتهى الى النهر ليسألهم، فخرج القوم إليه فقتلوه، وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس فقام إليه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا، سر بنا الى القوم فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينهم سرنا الى عدوّنا من أهل الشام<sup>(١٧٢)</sup>.

ويقول أبو العباس في الكامل فمن طريف أخبارهم أنّهم أصابوا في طريقهم مسلماً ونصرانياً، فقتلوا المسلم لأنه عندهم كافر إذ كان على خلاف معتقدهم واستوصوا بالنصراني وقالوا: احفظوا ذمّة نبيكم.

وقال: وساوموا رجلاً نصرانياً بنخلة له، فقال: هي لكم، فقالوا: ما كنّا لناخذها إلا بثمن، فقال: واعجبا! أنقتلون مثل عبدالله بن خباب ولا تقبلون جنا نخلة إلا بثمن.

### صدق الله وكذب المنجمون

عزم عليّ(عليه السلام) على الخروج الى الحرورية وكان في أصحابه منجم فقال له: يا أمير المؤمنين، لا تسير في هذه الساعة وسرّ على ثلاث ساعات مضين من النهار فأئك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصحابك أذى وضرّ شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت.

فقال له عليّ(عليه السلام): أتدري ما في بطن فرسي هذه أذكر هو أم أنثى؟ قال: إن حسبت علمت، فقال عليّ(عليه السلام): من صدّقك بهذا فقد كذب بالقرآن قال الله تعالى: (إنّ الله عنده علم الساعة وينزل

(١٧٢) الطبري: ٣٣٧٥/١، ج ٥ ص ٨٢، والكامل لابن الأثير: ٣٤١/١.

الغيث ويعلم ما في الأرحام<sup>(١٧٣)</sup> . ثم قال(عليه السلام) : إنَّ محمدًا(صلى الله عليه وآله) ما كان يدّعي علم ما ادّعت علمه، أتزعم أنّك تهدي الى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها وتصرف عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها! فمن صدقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله جلّ ذكره في صرف المكروه عنه. وينبغي للموقن بأمرك أن يوليئك الحمد دون الله جلّ جلاله، لأنّه بزعمك هديته الى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها، وصرفته عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتّخذ من دون الله ضدًا ونذًا.

اللهم لا طير إلا طيرك، ولا ضرر إلا ضررك، ولا إله غيرك، ثم قال: نخالف ونسير في الساعة التي نهيتنا عنها، ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس إياكم والتعلم للنجوم إلا ما يهتدى به في ظلمات البرّ والبحر. إنّما المنجم كالكاهن والكاهن كالكاfer والكافر في النار. أما والله لنن بلغني أنّك تعمل بالنجوم لأخلدنك السجن أبدًا ما بقيت ولا حرمتك العطاء ما كان لي من سلطان. ثم سار في الساعة التي نهاه عنها المنجم، فظفر بأهل النهر وظهر عليهم، ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الناس: سار في الساعة التي أمر بها المنجم فظفر وظهر. أما أنه ما كان لمحمد(صلى الله عليه وآله) منجم، ولا لنا من بعده، حتى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر. أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنّه يكفي ممّن سواه<sup>(١٧٤)</sup> .

### كأني بك وقد وطأتك الخيل

لما خرجت الخوارج من الكوفة أتى عليًّا أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت، فشرط لهم فيه سنة رسول الله(صلى الله عليه وآله) فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم فقال له: بايع على كتاب اللهوسنة رسول الله(صلى الله عليه وآله) .

فقال ربيعة: على سنة أبي بكر وعمر، قال عليّ: ويلك! أنّ أبابكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسول الله(صلى الله عليه وآله) لم يكونا على شيء من الحقّ، فبايعه فنظر إليه علي وقال: «أما والله لكأني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج ففتلت، وكأني بك وقد وطأتك الخيل بحوافرها. فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة<sup>(١٧٥)</sup> .

### لا يقتل منا عشرة ولا ينجو منهم عشرة

(١٧٣) لقمان: ٣٤.

(١٧٤) شرح النهج: ٢/٢٧٠، والطبري: ١/٣٣٧٦ و١/٨٣، والكامل:

٣/٣٤٣.

(١٧٥) الطبري: ١/٣٣٦٧ و١/٧٦، وابن الأثير: ٣/٣٣٧.

عن جندب قال: لمّا فارقت الخوارج عليّاً خرج في طلبهم وخرجنا معه فأنتهينا الى  
عسكر القوم. فإذا لهم دوي كدويّ النحل من قراءة القرآن وإذا فيهم أصحاب النقبات  
وأصحاب البرانس! فلمّا رأيتهم دخلني من ذلك شدّة فتحتيت فركزت رمحي ونزلت عن  
فرسي ووضعت برنسي فنشرت عليه درعي وأخذت بمقود فرسي فقامت أصلي الى رمحي  
وأنا أقول في صلاتي: اللهمّ إن كان قتال هؤلاء القوم لك طاعة فأذن لي فيه وإن كان معصية  
فأرني براءتك.

قال: فأنا كذلك إذ أقبل عليّ بن أبي طالب على بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلمّا جاء إليّ  
قال: تعوّد بالله يا جندب من شرّ السخط، فجنّت أسعى إليه، ونزل فقام يصلي إذ أقبل رجل على  
برذون يقرب به فقال: يا أمير المؤمنين قال: ما شأنك؟ قال: ألك حاجة في القوم. قال: وما ذاك؟  
قال: قد قطعوا النهر فذهبوا قال: ما قطعوه.

قلت: سبحان الله! ثمّ جاء آخر أرفع منه في الجري فقال: يا أمير المؤمنين قال: ما تشاء؟  
قال: ألك حاجة في القوم؟ قال: وما ذاك؟ قال: قد قطعوا النهر؟ قال عليّ: ما قطعوه. ثمّ جاء آخر  
فقال: قد قطعوا النهر. قال عليّ: ما قطعوه، ثمّ جاء آخر وقال كما قالوا.  
فقال عليّ: ما قطعوه ولا يقطعونه وليقتلنّ دونه، عهد من الله ورسوله.

قلت: الله أكبر ثمّ قمت فأمسكت له بالركاب ثمّ ركب فرسه ثم رجعت الى درعي فلبستها  
وإلى قوسي فعلقته وخرجت أسايره فقال لي: يا جندب!

قلت: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: أما أنا فأبعث اليهم رجلاً يقرأ المصحف يدعو الى كتاب الله ربّهم  
وسنة نبيهم فلا يُقبل علينا بوجهه حتى يرشقوه بالنبل، يا جندب أما إنّه لا يقتل منا عشرة ولا ينجو منهم  
عشرة.

فأنتهينا الى القوم وهم في معسكرهم الذي كانوا فيه لم يبرحوا فنأدى عليّ في أصحابه  
فصفهم ثم أتى الصف من رأسه ذا الى رأسه ذا مرتين ثم قال:  
من يأخذ هذا المصحف فيمشي به الى هؤلاء القوم فيدعوهم الى كتاب الله ربّه وسنة نبيهم وهو مقتول وله  
الجنة.

فأجابه شاب من بني عامر بن صعصعة، فخرج الشاب بالمصحف الى القوم فلمّا دنا  
منهم نشبوه فقال عليّ: دونكم القوم! قال جندب: ففتلت بكفي هذه ثمانية قبل أن أصلي الظهر،  
وما قُتل منا عشرة، وما نجا منهم عشرة كما قال عليّ (عليه السلام) (١٧٦).

وأرسل عليّ الى أهل النهر: أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم أقتلهم بهم ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل المغرب فلعن الله يقبل بقلوبكم ويردكم الى خير مما أنتم عليه من أمركم. فقالوا: كلنا قتلهم وكلنا مستحلّ لدمائكم ودمائهم. وخرج اليهم قيس بن سعد بن عبادة فقال لهم: عباد الله أخرجوا إلينا طلبتنا منكم وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه وعودوا بنا الى قتال عدونا وعدوكم فإنكم ركبتم عظيماً من الأمر، تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين!

فقال لهم عبدالله بن شجرة السلمي: إن الحق قد أضاء لنا فلسنا متابعيكم<sup>(١٧٧)</sup>.

وروى أبو عبيد معمر بن المثني، قال: استنطقهم عليّ (عليه السلام) بقتل عبدالله بن خباب فأقروا به فقال: انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة، فتكتبوا كتائب وأقرت كل كتيبة بمثل ما أقرت به الأخرى من قتل ابن خباب وقالوا: ولنقتلنك كما قتلناه.

فقال عليّ: والله لو أقر أهل الدنيا كلهم بقتله كذا وأنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم، ثم التفت إلى أصحابه فقال لهم: شدوا عليهم، فأنا أول من يشد عليهم، وحمل بذي الفقار حملة منكراً ثلاث مرات، كل حملة يضرب به حتى يعوج منته ثم يخرج فيسويه بركبتيه، ثم يحمل به حتى أفناهم<sup>(١٧٨)</sup>.

#### حقّ القول كما قال الرسول (صلى الله عليه وآله)

قد روى جماعة أن عليّاً كان يحدث أصحابه قبل ظهور الخوارج: «أنّ قوماً يخرجون، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، علامتهم رجل مخدج اليد»، سمعوا ذلك منه مراراً، فلما خرج أهل النهروان سار بهم إليهم عليّ وكان منه معهم ما كان؛ فلما فرغ أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدج. فالتمسوه، فقال بعضهم: ما نجد، حتى قال بعضهم: ما هو فيهم، وهو يقول: «والله أنّه لفيهم، والله ما كذبت ولا كُذبت».

ثم إنّه جاءه رجل فبشره، فقال: يا أمير المؤمنين قد وجدناه. وقيل: بل خرج عليّ في طلبه قبل أن يبشره الرجل ومعه سليم بن ثمامة والريان بن صبرة فوجده في حفرة على شاطئ النهر في خمسين قتيلاً.

فلما استخرجه نظر الى عضده فإذا لحم مجتمع كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سوداء فإذا مدت امتدت حتى تحاذي يده الطولى ثم تترك فتعود الى منكبه فلما رآه قال: «الله أكبر ما كذبت ولا كُذبت، لولا أن تتكلموا عن العمل لأخبرتكم بما قصّ الله على لسان نبيّه (صلى الله عليه وآله) لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم عارفاً للحق الذي نحن عليه».

(١٧٧) الطبري: ٣٣٧٧/١ و٥: ٨٣، ابن الأثير: ٣/٤٣٣.

(١٧٨) شرح النهج: ٢/٢٨٢.

وقال حين مرّ بهم وهم صرعى: بؤساً لكم لقد ضرّكم من غرّكم، قالوا: يا أمير المؤمنين من غرّهم؟ قال: الشيطان وأنفس أمارّة بالسوء غرّتهم بالأمانى وزينت لهم المعاصي ونبأتهم أنّهم ظاهرون<sup>(١٧٩)</sup>.

ويقول ابن أبي الحديد: روى جميع أهل السير كافة أنّ عليّاً (عليه السلام) لمّا طحن القوم طلب ذا التديّة طلباً شديداً، وقلب القتلى ظهراً لبطن فلم يقدر عليه فسأه ذلك وجعل يقول: والله ما كذبت ولا كذبت، اطلبوا الرجل واتّه لفي القوم، فلم يزل يتطلبه حتى وجده وهو رجل مخدج اليد كأنّها ثدي في صدره<sup>(١٨٠)</sup>.

وفي كنز العمال عن أبي كثير قال: كنت مع سيدي عليّ بن أبي طالب حين قتل أهل النهروان، فكأنّ الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم، فقال عليّ: يا أيّها الناس إنّ نبي الله (صلى الله عليه وآله) حدثني أنّ ناساً يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه أبداً. وآية ذلك أنّ فيهم رجلاً أسود مخدج اليد إحدى يديه كثدي المرأة لها حلمة المرأة، فإنّي لا أراه إلاّ فيهم، فوجدوه على شفير النهر تحت القتلى. فقال: صدق الله ورسوله، وفرح الناس حين رأوه واستبشروا وذهب عنهم ما كانوا يجحدون<sup>(١٨١)</sup>. وقد ذكر الكثير من هذا القبيل في كنز العمال فمن أراد المزيد فليراجع.

### المختار من الأخبار

عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فانقطع شسع نعله فألقاها الى عليّ (عليه السلام) يصلحها ثم قال: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما فاتلت على تنزيله». فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ فقال: لا، فقال عمر بن الخطاب: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا ولكنه ذاكم خاصف النعل. ويد عليّ (عليه السلام) على نعل النبيّ (صلى الله عليه وآله) يصلحها. قال أبو سعيد: فأتيت عليّاً فبشرته بذلك فلم يحفل، كأنه شيء قد كان علمه من قبل<sup>(١٨٢)</sup>. وذكره في كنز العمال في كتاب الفضائل عن أحمد وأبي يعلى والبيهقي والحاكم وسعيد بن منصور.

وروى ابن ديزيل بإسناده عن أبي صادق، قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراقي فأهدت له الأزد جزوراً فبعثوها معي فدخلت إليه فسلمت عليه، وقلت له: يا أبا أيوب، قد

(١٧٩) الكامل لابن الأثير: ٣/٣٤٧، والطبري: ١/٣٣٨٤.

(١٨٠) شرح النهج: ٢/٢٧٦.

(١٨١) كنز العمال حديث ٣١٥٦٣، كتاب الفتن والأهواء.

(١٨٢) شرح النهج: ٣/٢٠٧.



كرّمك الله عزّ وجلّ بصحبة نبيّه (صلى الله عليه وآله) ونزوله عليك فمالي أراك تستقبل الناس بسيفك تقاتلهم هؤلاء مرّة وهؤلاء مرّة؟! .

قال: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهد إلينا أن نقاتل مع عليّ الناكثين فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم - يعني معاوية وأصحابه - وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين ولم أرهم بعد<sup>(١٨٣)</sup> .

وذكره في كنز العمال في كتب الفتن والأهواء قسم الأفعال.

عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيّوب فقلنا: يا أبا أيّوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم جئت تقاتل المسلمين!

قال: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمرنا بقتال ثلاثة: الناكثين

والقاسطين والمارقين، فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين<sup>(١٨٤)</sup>

يقول ابن أبي الحديد: قد روى كثير من المحدثين عن عليّ (عليه السلام)، إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال له: «إنّ الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب عليّ جهاد المشركين قال قلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي كتب عليّ فيها الجهاد؟ قال: قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وهم مخالفون للسنة، فقلت: يا رسول الله فعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟

قال: على الإحداث في الدين ومخالفة الأمر، فقلت: يا رسول الله إنك كنت وعدتني الشهادة، فأسال الله أن يجعلها لي بين يديك.

قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين! أمّا إني وعدتك الشهادة وستستشهد تضرب على هذه فتخضب هذه، فكيف صبرك إذا، قلت: يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر، هذا موطن شكر، قال: أجل، أصبت<sup>(١٨٥)</sup> .

أقول: كلّ ما فعله أمير المؤمنين (عليه السلام) من حرب وسلم مع الناكثين والقاسطين والمارقين، هي أوامر من الله ورسوله امتثلها وظهرت من خلاها معاجز ودلائل للنبيّ والوصيّ.

وكلّ ما فعلته الفرق أو الفئات الثلاثة كان تحذيراً ونهياً قد اشتهر وظهر على لسان النبيّ الأمي.

وكل هذا العداء لأمير المؤمنين هو نتيجة حبّ الدنيا والتكالب عليها طلباً للرئاسة والسلطة والجاه والعلوّ والفساد، وكما قال (عليه السلام): «فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط

(١٨٣) شرح النهج: ٢٠٧/٣ .

(١٨٤) كنز العمال: حديث ٣١٧٢١ .

(١٨٥) شرح النهج: ٢٠٦/٩ .

آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: (تلك الدار الآخرة  
نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأض ولا فساداً والعاقبة للمتقين)  
بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها<sup>(١٨٦)</sup>.  
لما دخل عليّ بن أبي طالب الكوفة دخل عليه رجل  
من حكماء العرب فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد زنت الخلافة وما زانتك، ورفعتها وما  
رفعتك وهي كانت أحوج إليك منك إليها<sup>(١٨٧)</sup>.  
وبنظر هذه اللئالي المتفرقات، ورصّها بعد أن كانت مبعثرات فأصبحت كالحور  
المتعانقات، من لحظها ولمحها سرّته، ومن نظر إليها وتأمّلها أغنته، كفاية لذوي النهى  
والدراية، ونور لأهل الهدى والولاية، وحنة في معرفة المبدأ والغاية، فنكتفي بهذا العقد  
المنضود.  
والحمد لله أهل الكرم والجود وأصلي وأسلم على النبيّ المحمود وعلى آله الطيبين  
الطاهرين والحمد لله رب العالمين.

#### رداً على عجل

اشتريت كتاباً فما أن وصلت الى البيت أحببت أن أقرأ ما يقوله المحقق والمعلق الذي  
حقق وعلق على الكتاب فما أن قرأت صفحة أو صفحتين وإذا بي اقرأ هذه الكلمة إن ابن  
أبي الحديد شيعي.  
أصبت بو عكة نفسية وتأسفت وتأوّهت وقلت في نفسي مثل هذا الكتاب يعلق عليه ويحقّقه  
من لا يعرف أن يميّز بين الشيعي والسني وعلقت آنذاك على كلمته هذه بقولي: اسم الله على  
هذه المعرفة وهذا العقل وينبغي أن تناط عليك التمام والعود خوفاً من العيون والحسد.  
وها أنا أرد على عجل، إذ قوله في غاية الجهل، فلا يحتاج الى بحث وجدل، فنظرت في  
شرح نهج البلاغة نظرة عجلان، واخترت من آراءه ما يكفي في البيان، إن الرجل من اتباع  
أبي بكر وعمر وعثمان، وبعده عن الشيعة بعد المشركين وأصوله وفروعه أخذها عن  
الشيخين، فكيف يكون شيعة لأبي الحسن والحسين.

#### آراء الرجل وعقيدته

(١٨٦) شرح النهج: ٢٠٠/١.

(١٨٧) السيوطي في تاريخ الخلفاء نقلاً عن المدائني: ص ١٨٠.

١ - يقول في ج ١، ص ٧: اتفق شيوخنا كافة المتقدمون والمتأخرون والبصريون والبغداديون على أنّ بيعة أبي بكر الصديق بيعة صحيحة شرعية، وأنها لم تكن عن نص، وإنما كانت بالاختيار والذي ثبت بالإجماع.

أقول: أي شيعي يتقوّه بهذا الكلام ومن هؤلاء الشيوخ الذين اتفقت كلمتهم، وهل هناك شيعي يخالف إمامه حيث يقول: أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه يعلم أن محلي منها محلّ القطب من الرحا.

وقوله بالاختيار الذي ثبت بالاجماع، أقول: إنّ الشيعة لا ترى أي قيمة للاجماع إلا إذا علم أن المعصوم أحدهم وهذا الاجماع الذي ذكره ابن أبي الحديد الظاهر أنه بحذف الهمزة.

٢ - قوله في بداية كتاب شرح النهج: الحمد لله الواحد العدل... الى أن يقول: وقدّم المفضل على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف.

أقول: لا ندري أي إله يقصد فإن كان يقصد الله الذي خلق الموجودات وبرأ النسمات وأنزل الكتب وبعث الأنبياء والرسل فحاشاه وسبحانه فإنّ الشيعة لا تنسب هكذا تقديم لكبير قوم وزعيمهم لقبه ولما فيه من الاجحاف.

ولا أدري كيف ينسجم قوله هذا مع قوله أولاً حيث قال: الحمد لله الواحد العدل فوصفه بالعدل ثم نسب إليه انه قدّم المفضل على الأفضل.

فالظاهر أنّ المراد من هذا الإله الذي قدّم وأخر ما أشارت إليه الآية: (أفرايت من اتخذ إلهه هواه)، فأبي شيعي هذا ينسب القبح والظلم الى الله في سبيل تصحيح تقدّم المفضل (أبي بكر) على الأفضل (عليّ).

٣ - قوله في ج ١، ص ١٣: ودُعي بعد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله) بوصي رسول الله، وأصحابنا لا ينكرون ذلك، ولكن يقولون: إنّها لم تكن وصية بالخلافة.

٤ - قوله في ج ١، ص ١٦١: وتزعم الشيعة أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) كان يعلم موته، وأنه سيّر أبا بكر وعمر في بعث أسامة لتخلو دار الهجرة منهما، فيصفوا الأمر لعليّ(عليه السلام)، ويبايعه من تخلف من المسلمين على سكون وطمأنينة... .

أقول: وهل هذا زعم أم حقيقة وواقع بل إنّها من دلائل نبوّته ثم انه لماذا يطاع رسول الله مع تكرار أوامره بتجهيز جيش أسامة، وكيف لا يعلم رسول الله موته وهؤلاء تلاميذه وأصحاب أمير المؤمنين عندهم علم المنايا والبلايا كرشيد الهجري.

وهل هناك دليل أقوى من الوقوع، فكلّ ما حدّر منه الرسول وخافه وقع، فسبقاً عليّاً الى البيعة وجرى ما جرى.

٥ - قوله في ج ٢، ص ٥٩: واعلم أن الآثار والأخبار في هذا الباب كثيرة جداً، ومن تأملها وأنصف علم أنه لم يكن هناك نصّ صريح ومقطوع به لا تختلجه الشكوك، ولا تنطرق إليه الاحتمالات كما تزعم الإمامية... .

٦ - قوله بعد ذكر قصة السقيفة ج ٦، ص ١٢ قلت: هذا الحديث يدلّ على بطلان ما يدعى من النصّ على أمير المؤمنين وغيره، لأنه لو كان هناك نصّ صريح لاحتجّ به ولم يجز للنصّ ذكر... .

٧ - قوله في ج ١١، ص ١١١: وكلّ ذلك محمول عندنا على أنه طلب الأمر من جهة الفضل والقربة، وليس بدالّ عندنا على وجود النصّ، لأنه لو كان هناك نصّ لكان أقلّ كلفة وأسهل طريقاً، وأيسر لما يريد تناولاً أن يقول:

يا هؤلاء إن العهد لا يطل، وإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمركم بطاعتي واستخلفني عليكم بعده... .

٨ - قوله في ج ١١، ص ١١٢: وكلّ هذا إذا تأملّه المنصف علم أنّ الشيعة أصابت في أمر واخطأت في أمر.

أمّا الأمر الذي أصابت فيه فقولها: إنّه امتنع وتلكأ، وأراد الأمر لنفسه وأمّا الأمر الذي اخطأت فيه فقولها: إنّه كان منصوباً عليه نصّاً جليّاً بالخلافة تعلمه الصحابة كلّها أو أكثرها، وإنّ ذلك النصّ خولف طلباً للرئاسة الدنيويّة وإيثاراً للعاجلة.

أقول: ان ليس للجحود والانكار والعناد ردّ وجواب إلا قول ربّنا سبحانه وتعالى حيث يقول: (ولو أنّنا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا...).

وقوله تعالى: (... ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه...).

وقوله تعالى: (بل يريد كلّ امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منسّرة).

فابن أبي الحديد وأمثاله ممّن سبقه أو تأخّر عنه لو أنزل على كلّ واحد منهم ملك معه صحف منشرة بولاية عليّ بن أبي طالب وخلافته لألّفوا كتباً في الردّ عليها والتشكيك بها.

٩ - قوله في غضب فاطمة على أبي بكر وعمر في ج ٦، ص ٥٠: والصحيح عندي أنها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر، وإنّها أوصت ألاّ يصلّيها عليها وذلك عند أصحابنا من الأمور المغفورة لهما.

أقول: إنّ الشيعة تعتقد خلاف هذا وهو أنّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها.

١٠ - قوله في ج ١٧، ص ١٦٨: وأمّا حديث الهجوم على بيت فاطمة (عليها السلام) فقد تقدّم الكلام فيه، والظاهر عندي صحّة ما يرويه المرتضى والشيعة، ولكن لا كلّ ما يزعمونه، بل كان بعض ذلك.

وحقّ لأبي بكر أن يندم ويتأسّف على ذلك، وهذا يدلّ على قوّة دينه وخوفه من الله تعالى، فهو بأن يكون منقبة له أولى من كونه طعناً عليه.

١١ - توقفه في إيمان أبي طالب إذ يقول في ج ١٤، ص ٨٢: وجملة الأمر أنّه قد روي في إسلامه أخبار كثيرة، وروي في موته على دين قومه أخبار كثيرة، فتعارض الجرح والتعديل، فكان كتعارض البيّنتين عند الحاكم وذلك يقتضي التوقف، فأنا في أمره من المتوقفين.

أقول: إنّ الشيعة تنظر الى أبي طالب كنظرها الى الأولياء والأوصياء وكما يقول الإمام زين العابدين علي بن الحسين: إنّ مثل أبي طالب كمثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر فأتاهم الله أجرهم مرتين.

ثم ان شعره الذي يعرب عن إيمانه، ونثره الذي يخبر عن جنانه ونصرته الإسلام بيده ولسانه أوضح من النصوص الجليّة والأخبار العليّة. لكن مشكلة أبي طالب هي من قبل ابنه عليّ.

١٢ - رأيه في الإمام المهدي المنتظر (عجلّ الله تعالى فرجه) في ج ٧، ص ٥٩ يقول: فإن قيل: ومن هذا الرجل الموعود به الذي قال (عليه السلام) عنه: «بأبي ابن خير الإمام»؟ قيل: أما الإمامية فيزعمون أنّه إمامهم الثاني عشر، وأنه ابن أمة اسمها نرجس، وأمّا أصحابنا فيزعمون أنّه فاطمي يولد في مستقبل الزمان لأُمّ ولد، وليس بموجود الآن.

١٣ - يقول في ج ١٢، ص ٢٠٠: واعلم أن أوّل من سنّ لأهل الغيبة من الشيعة القول بأنّ الإمام لم يمت ولم يفتل، وإن كان في الظاهر وفي مرأى العين قد قُتل أو مات إنّما هو عمر. ولقد كان يجب على المرتضى وطائفته أن يشكروه على ما أسّس لهم من هذا الاعتقاد. أقول: إنّ الشيعة إنّما قالت بغيبة الإمام (عجلّ الله تعالى فرجه) للنصوص الثابتة، وهل أخذت الشيعة برأي من آراء عمر حتى يؤسّس لهم القول بغيبة الإمام.

وهذا يسير من كثير من آراء وعقائد ابن أبي الحديد، فيا أيّها المحقّق والمعلّق هلا تحققت من قولك إن ابن أبي الحديد شيعي.

إنّما الشيعي الذي يعتقد بولاية وإمامة الأئمة الإثني عشر أوّله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وآخرهم المهدي المنتظر وأنهم معصومون وأنهم حجج الله على خلقه، فمن أنكر واحداً منهم أو صفة من صفاتهم فليس على شيء من دين الله.

والشيعي هو الذي يأخذ منهم وعنهم كلّ أمور دينه، فلو اتّبع غيرهم أو ردّ حكماً عليهم فحالهم عند الشيعة كمن تقمّص الخلافة.

ولعلّ الذي غرّه بأن يقول ما قال هو المدح والثناء من قبل ابن أبي الحديد لعلّي وأهل البيت كما فعل الذين سبقوه حتى قال الشافعي:

إن كان رفضاً حبّ آل محمد \*\*\* فليشهد الثقلان أنني رافضي

وقال:

يا آل بيت رسول الله حبّكم \*\*\* فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم الشأن انكم \*\*\* من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

ولكن الشيعة لا ترى لهذا المدح والثناء وزناً إذا خلا عن الاعتقاد بإمامتهم والانقياد لسلطانهم.

ويقولون فيهم: إنّ هؤلاء خوفاً من أن يُنسبوا الى نفاق أو شرك أو شيطان وغير ذلك مما ثبت في حقّ من خالف عليّاً واتبع غيره، أظهروا الحبّ والمودة والتشيع، وبهذه الازدواجية في العقيدة تصوّروا أنهم شيعة لعلّي وأهل البيت.

فابن أبي الحديد واحد من هؤلاء حتى لو ملأ الدنيا شعراً ونثراً يمدح أهل البيت ويثني عليهم.

#### الشجرة الملعونة

يقول ابن أبي الحديد: وقد جاء في الأخبار الشائعة المستفيضة في كتب المحدثين أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخبر أنّ بني أمية تملك الخلافة بعده، مع ذم منه عليه، نحو ما روي عنه في تفسير قوله تعالى: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن)، فإن المفسرين قالوا: إنّ رأى بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، هذا لفظ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي فسّر لهم الآية به، فسأته ذلك، ثم قال: الشجرة الملعونة بنو أمية وبنو المغيرة (١٨٨) (١٨٩).

ويقول في ج ٤ ص ٧٩: وروى شيخنا أبو عبد الله البصري المتكلم، عن نصر بن عاصم الليثي عن أبيه قال: أتيت مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله! فقلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية قام الساعة فأخذ بيد أبي سفيان فخرجا من المسجد، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لعن الله التابع والمتبوع ربّ يوم لأمتي من معاوية ذي الإسته» قالوا: يعني الكبير العجز.

(١٨٨) شرح النهج: ٢٢٠/٩

(١٨٩) تفسير القرطبي والفخر الرازي وكنز العمال: ج ١١ / ١٦٣ و ج ١٤ / ٣٩.

وروى نصر، عن عبدالغفار بن القاسم عن عدي بن ثابت أن البراء بن عازب، قال: أقبل أبوسفيان ومعه معاوية، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله) : «اللهم العن التابع والمتبوع اللهم عليك بالأقيعس»، فقال ابن البراء لأبيه: من الأقيعس؟ قال: معاوية(١٩٠).

وروي عن بليد بن سليمان حدثني الأعمش عن علي بن الأقرم قال: وفدنا على معاوية وقضينا حوائجنا ثم قلنا: لو مررنا برجل قد شهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) وعابنه فأتينا عبدالله بن عمر فقلنا: يا صاحب رسول الله حدثنا ما شهدت ورأيت؟ قال: إن هذا أرسل إليّ - يعني معاوية - فقال: لئن بلغني أنك تحدث لأضربن عنقك.

فجثوت على ركبتي بين يديه ثم قلت: وددت أن أهد سيف في جندك على عنقي، فقال: والله ما كنت لأقاتلك ولا أقتلك.

وأيم الله ما يمنعني أن أحدثكم ما سمعت من رسول الله(صلى الله عليه وآله)، قال فيه: رأيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) أرسل إليه يدعوه - وكان يكتب بين يديه - فجاء الرسول فقال: هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه، فهل ترونه يشبع؟ .

قال: وخرج [معاوية] من فج فنظر رسول الله الى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول الله(صلى الله عليه وآله)قال:«اللهم العن القائد والسائق والراكب».

قلنا: أنت سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله)؟ قال، قال: نعم، وإلا فصمنا أذناني كما عميتا عينايا(١٩١).

يقول ابن أبي الحديد: تضافرت الأخبار أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) دعا على معاوية لما بعث إليه يستدعيه، فوجده يأكل ثم بعث فوجده يأكل، فقال: «اللهم لا تشبع بطنه» قال الشاعر: وصاحب لي بطنه كالهواية \*\*\* كأن في أحشائه معاوية(١٩٢)

ويقول في ج ٨ ، ص ٣٩٨ : وقد كان فيهم قوم موصوفون بكثرة الأكل منهم معاوية. قال أبو الحسن المدائني في كتاب الأكلة: كان يأكل في اليوم أربع أكلات أخراهن عظامهن، ثم يتعشى بعدها بثريدة عليها بصل كثير ودهن كثير قد شغلها. وكان أكله فاحشاً يأكل فيلطح مندولين أو ثلاثة قبل أن يفرغ وكان يأكل حتى يستلقي، يقول: يا غلام ارفع فإني والله ما شبعت ولكن مللت(١٩٣).

(١٩٠) وقعة صفين: ٢١٨.

(١٩١) وقعة صفين: ٢٢٠.

(١٩٢) شرح النهج: ٥٥/٤.

(١٩٣) ربيع الأبرار: ٢١٢/٣ - ٢٢٨.

وروى نصر عن محمد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن سليمان بن عمرو بن الأحوص الأزدي قال: أخبرني أبو هلال أنه سمع أبا برزة الأسلمي يقول: إنهم كانوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسمعوا غناءً فتشرفوا له، فقام رجل فاستمع له، وذاك قبل أن تحرم الخمر... .

فأتاهم ثم رجع فقال: هذا معاوية وعمرو بن العاص يجيب أحدهما الآخر وهو يقول:

يزال حوارِيُّ تلوح عظامه \*\*\* زوى الحرب عنه أن يُحسَّ فيقبرا

فرفع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يديه فقال: «اللهم أركسهم في الفتنة ركساً، اللهم دَعِّمهم الى النار دعاً» (١٩٤).

يقول ابن أبي الحديد: لام معاوية يزيد ابنه على سماع الغناء وحب القيان وقال له: أسقطت مروءتك، فقال يزيد: أتكلم بلساني كلمة؟ قال: نعم، وبلسان أبي سفيان بن حرب وهند بنت عتبة مع لسانك، قال: والله لقد حدثني عمرو بن العاص - واستشهد على ذلك ابنه عبدالله بصدقه - .

أنّ أبا سفيان كان يخلع على المغني الفاضل من ثيابه ولقد حدثني أن جاريته عبدالله بن جدعان غنته يوماً فأطربته، فجعل يخلع عليهما أثوابه ثوباً ثوباً حتى تجردت العري، ولقد كان هو وعقان ابن أبي العاص ربّما حملاً جارية العاص بن وائل على أعناقهما. فمرّاً بها على الأبطح وجلة قريش ينظرون إليهما مرّة على ظهر أبيك ومرّة على ظهر عقان، فما الذي تنكر منّي! فقال معاوية: اسكت لحاك الله والله ما أحد الحقّ بأبيك هذا إلا ليغرّك ويفضحك وإن كان أبوسفيان ما علمت لتثقل الحلم، يقظان الرأي، عازب الهوى، طويل الأناة، بعيد القعر وما سوّده قريش إلا لفضله (١٩٥).

يقول الجاحظ في كتاب التاج: قلت لإسحاق بن إبراهيم هل كانت الخلفاء من بني أمية تظهر للندماء والمغنين؟

قال: أما معاوية ومروان وعبدالملك والوليد وسليمان وهشام ومروان بن محمد، فكان بينهم وبين الندماء ستارة. وكان لا يظهر أحد من الندماء على ما يفعله الخليفة إذ طرب للمغني والتدّه حتى ينقلب ويمشي ويحرك كتفيه ويرقص ويتجرّد حيث لا يراه إلا خواص جواريه.

(١٩٤) وقعة صفين: ٢١٩.

(١٩٥) شرح النهج: ج ٨، ص ١٣٠.



إلا أنه كان إذا ارتفع من خلف الستارة صوت أو نكير طرب أو رقص أو حركة بزفير تجاوز المقدار، قال صاحب الستارة: حسبك يا جارية كفى أنتهي أقصري يوهم الندماء أن الفاعل لذلك بعض الجواري.

فأما الباقيون من خلفاء بني أمية فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا ويتجردوا ويحضروا عراة بحضرة الندماء والمغنين وعلى ذلك لم يكن أحد منهم في مثل حال يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد في المجون والرفث بحضرة الندماء والتجرد ما يُباليان ما صنعنا.

قلت: فعمر بن عبدالعزيز؟ قال: ما طنّ في سمعه حرف غناء منذ أفضت الخلافة إليه الى أن فارق الدنيا، فأما قبلها - وهو أمير المدينة - فكان يسمع الغناء ولا يظهر منه إلا الأمر الجميل وكان ربّما صفق بيديه وربّما تمرّغ على فراشه وضرب برجليه وطرب، فأما أن يخرج عن مقدار السرور الى السخف فلا<sup>(١٩٦)</sup>.

## من مصادر الحديث

- ١ - عن الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري، قال أبو صادق: قدم أبو أيوب الأنصاري العراق فاهدت له الأزد جزراً فبعثوا بها معي فدخلت عليه فسلمت عليه، وقلت له: قد أكرمك الله بصحبة نبيّه ونزوله عليك فمالي أراك تستقبل الناس تقاتلهم؟! تستقبل هؤلاء مرّةً وهؤلاء مرةً فقال: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهد إلينا أن نقاتل مع الناكثين فقد قاتلناهم وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم - يعني معاوية وأصحابه - وعهد إلينا أن نقاتل مع عليّ المارقين فلم أرهم بعد<sup>(١٩٧)</sup>.
- وروى علقمة والأسود عن أبي أيوب أنه قال: إنّ الرائد لا يكذب أهله وإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمرنا بقتال ثلاثة مع عليّ قتال الناكثين والقاسطين والمارقين - الحديث<sup>(١٩٨)</sup>.
- وقال عتاب بن ثعلبة: قال أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب: أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع عليّ. ورواه عنه الأصبغ بن نباتة غير أنّ فيه أمرنا<sup>(١٩٩)</sup>.
- ٢ - أبو سعد الخدري قال: أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين قلنا: يا رسول الله! أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ قال: مع عليّ بن أبي طالب<sup>(٢٠٠)</sup>.
- ٣ - خليل العصري قال: سمع أمير المؤمنين عليّاً يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين<sup>(٢٠١)</sup>.
- ٤ - عبد الله بن مسعود قال: أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّاً بقتال... الحديث<sup>(٢٠٢)</sup>.

---

(١٩٧) تاريخ ابن عساکر: ٤١/٥، أربعين الحاكم ولفظه يقرب من هذا، تاريخ ابن كثير: ٣٠٦/٧، كنز العمال: ٨٨/٦.  
(١٩٨) تاريخ الخطيب البغدادي: ١٨٧/٣، كفاية الكنجي: ٧، تاريخ ابن كثير: ٧، ص ٣٠٦.  
(١٩٩) أخرجه الحافظ ابن حبان والطبري كما ذكره السيوطي برواية الحاكم في أربعينه وابن عبد البرّ في الاستيعاب: ٥٣/٣.  
(٢٠٠) أخرجه الحاكم في أربعينه كما ذكره السيوطي والحافظ الكنجي في الكفاية ص ٧٢، وابن كثير في تاريخه: ٣٠٥/٧، والخوارزمي في المناقب: ١٩٠.  
(٢٠١) الخطيب في تاريخه: ٣٤٠/٨، وابن كثير في تاريخه: ٣٠٥/٧.

٥ - عبدالله بن مسعود قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأتى منزل أم سلمة، فجاء عليّ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا أمّ سلمة هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي (٢٠٣).

٦ - عليّ بن ربيعة الوالبي قال: سمعت عليّاً يقول: عهد إليّ النبي (صلى الله عليه وآله) أن أقاتل بعده القاسطين والناكثين والمارقين (٢٠٤).

٧ - سعد بن عبادة قال: قال عليّ (عليه السلام): أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين (٢٠٥).

٨ - أخرج ابن عساكر من طريق زيد الشهيد عن عليّ إنّه قال: أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين (٢٠٦).

٩ - أنس بن عمرو عن أبيه عن عليّ (عليه السلام) قال: أمرت بقتال ثلاثة: المارقين والقاسطين والناكثين. أخرجه ابن عساكر كما في تاريخ ابن كثير: ٣٠٥/٧.

١٠ - أبو سعيد مولى رباب قال: سمعت عليّاً (عليه السلام) يقول: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين (٢٠٧).

١١ - ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأُمّ سلمة: يا أمّ سلمة أن عليّاً يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. قال ابن عباس: وقتلهم الله رضى وللاُمّة صلاح ولأهل الضلالة سخط. قال الشامي: يابن عباس من الناكثون قال: الذين بايعوا عليّاً بالمدينة ثم نكثوا فقاتلهم بالبصرة أصحاب الجمل، والقاسطون معاوية وأصحابه، والمارقون أهل النهروان ومن معهم. فقال الشامي: يابن عباس ملأت صدري نوراً وحكمة وفرجت عني فرج الله عنك أشهد أن عليّاً (رضي الله عنه)، مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة (٢٠٨).

١٢ - السيوطي في الدر المنثور في ذيل تفسير قوله تعالى: (فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون) في سورة الزخرف قال: وأخرج ابن مردويه من طريق محمد بن مروان عن الكلبي

---

(٢٠٢) أخرجه الطبراني والحاكم في أربعينه من طريقين وأبو عمر في الاستيعاب: ٥٣/٣، هامش الاصابة والهيتمي في مجمع الزوائد: ٢٣٨/٧.

(٢٠٣) أربعين الحاكم، الرياض النضرة: ٢٤٠/٢، تاريخ ابن كثير: ٣٠٥/٧، مطالب السؤل: ٢٤ نقلاً عن مصابيح البغوي، فرائد السمطين باب ٢٧، كنز العمال: ٣٩١/٦.

(٢٠٤) أخرجه البزار والطبراني في الأوسط، والحافظ الهيتمي في المجمع: ٢٣٨/٧، وأخرجه أبو يعلى كما في تاريخ ابن كثير: ٣٠٤/٧، وشرح المواهب للزرقاني: ٢١٧/٣، والمعيار والموازنة: ٥٥/٣٧، والخوارزمي في المناقب: ١٩٠.

(٢٠٥) أخرجه جمع من الحفاظ من غير طريق راجع ابن كثير: ٣٠٥/٧، وكنز العمال: ٧٢/٦.

(٢٠٦) تاريخ ابن كثير: ٣٠٥/٧، كنز العمال: ٣٩٢/٦.

(٢٠٧) ايضاح الأشكال للحافظ عبد الغني بن سعيد، المناقب للخوارزمي: ١٠٦ من طريق الحفاظ ابن مردويه.

(٢٠٨) البيهقي في المحاسن والمساوي: ص ٤٠، والحموي في الفرائد باب ٢٧ وباب ٢٩ بطرق ثلاث والكنجي في الكفاية: ص ٦٩، والمتقي في الكنز: ٦، ص ١٥٤، من طريق الحفاظ العقيلي.

عن أبي صالح عن جابر بن عبدالله عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) في قوله: (فإمّا نذهبنّ بك فإتانا منهم منتقون)، نزلت في عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) إنّهُ ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي.  
١٣ - النسائي في خصائص أمير المؤمنين بإسناده عن زر بن حبيش أنّه سمع عليّاً (رضي الله عنه) يقول: أنا فقات عين الفتنة ولولا أنا ما قوتل أهل النهروان وأهل الجمل، ولولى أنّي أخشى أن تتركوا العمل لأخبرتكم بالذي قضى الله عزّ وجلّ على لسان نبيكم (صلى الله عليه وآله) لِمَن قاتلهم مبصراً لضلالتهم عارفاً بالهدى الذي نحن عليه (٢٠٩).

---

(٢٠٩) ورواه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفى المتوفى سنة (٢٨٣ هـ) في مطلع كتاب الغارات، وانظر تاريخ الطبري: ٥٠/٦، والكامل في التاريخ لابن الأثير: ١٣٩/٣.  
وأخرجه عبد بن أحمد في «السنّة» ص ٢٤٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء، وذكره المتقي في الكنز: ١٣٣/١١ طبع المطبعة العلمية ببيروت.



## أهم المصادر

- ١ - تاريخ الطبري الطبعة الثانية لدار المعارف بمصر تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم.
  - ٢ - الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م.
  - ٣ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية لدار إحياء التراث العربي (١٩٦٧ م - ١٣٨٧ هـ).
  - ٤ - كنز العمّال للمتقي الهندي، تحقيق محمود عمر الدميّاطي، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ).
  - ٥ - وقعة صفين لنصر بن مزاحم، منشورات مكتبة المرعشي، الطبعة الثالثة (١٤١٨ هـ).
  - ٦ - تاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ).
  - ٧ - كتاب التاج في أخلاق الملوك للجاحظ، تحقيق أحمد زكي باشا.
  - ٨ - طبقات ابن سعد، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
  - ٩ - الأغاني لأبي الفرج الأموي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
  - ١٠ - الروض الأنف للسهيّلي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
  - ١١ - العقد الفريد لابن عبد ربّه، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
  - ١٢ - ربيع الأبرار للزمخشري، مؤسسة الأعلمي بيروت - لبنان.
  - ١٣ - مروج الذهب للمسعودي، دار المعرفة بيروت - لبنان.
  - ١٤ - المحاسن والمساوي للبيهقي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
  - ١٥ - المعيار والموازنة لأبي جعفر الإسكافي.
  - ١٦ - تاريخ المدينة المنورة لعمر بن شبة.
- المرء بعد الموت أحداثه \*\*\* يفنى وتبقى منه آثاره  
فأحسن الحالات حالُ امرئ \*\*\* تطيب بعد الموت أخباره

## الفهرس

- كلمة المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ... ٥  
مقدمة المؤلف ... ٩  
«أمرت بقتال الناكثين والقاسطينوالمارقين»... ١٣

## الناكثون

- طلحة... ١٧  
طلحة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ... ١٨  
طلحة مع أبي بكر ... ١٩  
طلحة مع عمر ... ٢٠  
طلحة مع عثمان ... ٢١  
مروان يثار لعثمان ... ٢٤  
الزبير ... ٢٥  
رأي عمر فيه ... ٢٦  
موقف الزبير من عثمان ... ٢٧  
تذكير وتحذير من قبل الأمير (عليه السلام) ... ٢٧  
العاقبة والمصير ... ٢٩  
طلحة والزبير تحت المجهر ... ٣١  
أم المؤمنين عائشة ... ٣٢  
عائشة مع عثمان ... ٣٣  
أخطأت في الثالث ... ٣٦  
عائشة مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ... ٣٨  
غناء وضرب بالدفوف ... ٤١  
سجدة الشكر ... ٤٣  
ابتداء الغدر والنكث ... ٤٤  
وتحرّك الناكثون ... ٤٦

- شتان ما بين الموقفين ... ٤٩  
حفصة وعائشة نضال مشترك ... ٥٠  
كلاب الحوآب ... ٥٢  
خرجوا للإصلاح ... ٦٠  
يوم الجمل الأصغر ... ٦٣  
رسالة من أمّ الى ابنها ... ٦٤  
الأمر أمرها ... ٦٤  
أعذر من أنذر ... ٦٥  
مسلم اسم على مسمّى ... ٦٦  
كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره ... ٧٤  
الإيثار ... ٧٤  
من خطبة لعليّ في قادة الجمل ... ٧٥  
صدق رسول الله(صلى الله عليه وآله) ... ٧٥

#### القاسطون

- الدعوة الى البيعة والطاعة ... ٧٨  
شراء الدين والضمان ... ٧٩  
قميص عثمان ... ٨٢  
ويل للمطّفين ... ٨٤  
معاوية ... ٨٨  
عداؤه وبغضه للنبي(صلى الله عليه وآله) ... ٩٠  
همّة الإمرة والرئاسة ... ٩٢  
اتخذوا دينهم لهواً ولعباً ... ٩٢  
نصره حيث كان التصر له ... ٩٣  
ضئيل محتقر ... ٩٤  
عمرو بن العاص ... ٩٥  
عمرو بن العاص مع عثمان ... ٩٧  
ما ينطق عن الهوى ... ٩٩  
بطل بعورته يقاتل ... ١٠١



- أبو موسى الأشعري... ١٠٢
- أبو موسى يثبّط الناس عن نصره عليّ (عليه السلام) ... ١٠٥
- النبيّ يخصّه بالقعود... ١٠٦
- غلبه الغش... ١٠٨
- الأشعري في كلام عليّ (عليه السلام) ... ١١٠
- ورث البغض لا عن كلاله... ١١٢
- قدّم الشيخ لأوليه... ١١٢
- تشابهت قلوبهم... ١١٣
- من أخبار عليّ في طريقه الى صفين... ١١٤
- الراهب الشهيد... ١١٥
- الخلق الكريم... ١١٦
- علي مع القرآن... ١١٧
- الإعلام المضلل والدعاية الممقوتة... ١١٨
- البدر يحفه البديرون... ١٢٠
- مع ابن هند من لا سابقة له... ١٢١
- الاستبصار على يديّ عمّار... ١٢٣
- سمّهم بما سماهم الله... ١٢٥
- صدق النبيّ المختار في حقّ عمّار... ١٢٥
- قصة التحكيم... ١٣٢
- وتكرر صلح الحديبية كما قال خير البرية... ١٣٦
- مثل الكلب والحمّار مسرحية جميلة... ١٣٨
- صدق النبيّ (صلى الله عليه وآله)... ١٤٠

#### المارقون

- جهل وجدل... ١٤٦
- الخلق الكريم حتى مع عدوّه... ١٤٨
- شناعة وبشاعة... ١٤٩
- صدق الله وكذب المنجمون... ١٥١
- كأني بك وقد وطأتك الخيل... ١٥٣

- لا يقتل مئاً عشرة ولا ينجو منهم عشرة ... ١٥٤
- حقّ القول كما قال الرسول (صلى الله عليه وآله) ... ١٥٧
- المختار من الأخبار ... ١٥٩
- رداً على عجل ... ١٦٣
- آراء الرجل وعقيدته ... ١٦٣
- الشجرة الملعونة ... ١٧١
- من مصادر الحديث ... ١٧٧
- أهم المصادر ... ١٨٣
- الفهرس ... ١٨٥